الحسين عليه السلام يُلبّي النِّداء

مجموعة كلمات حول ثورة الإمام الحسين عليه السلام

العلّامة الشهيد
السيّد أحمد السيّد علوي الغريفي قدس سره

الحسين عليه السلام يُلبِّي النِّداء

مجموعة كلمات حول ثورة الإمام الحسين عليه السلام

بقلم

سماحة العلّامة الشهيد

السيد أحمد السيد علوي الغريفيّ قدس سره

إعداد

لجنة الغُريفي الثقافيّة

www.alghuraifi.org

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١٠م

حقوق الطبع محفوظة لدى لجنة الغريفي الثقافيّة©

مكتب سماحة العلامة السيد عبد الله الغريفي
هاتف: ١٧٤٠٣١٣٤ - فاكس: ١٧٤٠٣١٣٠
الموقع الإلكتروني: www.alghuraifi.org
البريد الإلكتروني: lajna@alghuraifi.org
السهلة الشماليّة - مملكة البحرين

المحتويات

- **مقدّمة** ٩
- **الشّهادة ومفهومها في المنظور الإسلاميّ** ١١
- مفهوم الحياة في نظر الإسلام ١١
- الإيمان باليوم الآخر ١٢
- الإنسان في هذه الحياة ١٣
- مسؤوليّة خلافة الله تعالى في الأرض ١٥
- التصوّر الإسلاميّ للحياة والموت والشّهادة ١٦
- **بين صلح الحسن وثورة الحسين عليهما السلام** ١٨
- المبرّرات الموضوعيّة لصلح الإمام الحسن عليه السلام ١٩
- الإمام الحسين عليه السلام يرفض البيعة ليزيد ٢٢
- **القيامُ بالثورة** ٢٥
- دور المرأة في معركة كربلاء ٢٧
- لماذا لم يثرْ الإمام الحسين عليه السلام في وجه معاوية؟! ٢٨
- معاوية يحاول تقييد الإمام الحسين عليه السلام ببيعة يزيد ٣٠
- موت معاوية يمهّد الطريق للثورة ٣٠
- الإمام الحسين عليه السلام يرفض البيعة ليزيد ٣١
- الإمام الحسين عليه السلام يُعلن الثورة ٣٢
- **أهداف الثورة الحسينيّة** ٣٤

- **الحسين عليه السلام يلبّي النداء** ٣٩
- – سفير الحسين عليه السلام لأهل الكوفة ٣٩
- الحسين عليه السلام يعدل عن الحج متوجّهًا نحو العراق الحسين يستجيب لطلب أهل العراق ٣٩
- **أنصار الثورة الحسينيّة** ٤٦
- دور أهل البيت عليهم السلام في كربلاء ٤٩
- حوار عليّ الأكبر مع أبيه الحسين عليه السلام ٥٠
- مثال الإيثار والتفاني ٥٢
- بطل العلقميّ أبو الفضل العباس عليه السلام ٥٤
- أقوال الأئمّة في العباس عليه السلام ٥٦
- أشبه الناس خلقًا وخُلقًا برسول الله صلى الله عليه وآله عليّ الأكبر ٥٨
- فقيه أهل البيت حبيب بن مظاهر ٦٢
- ليلة الرّحيل ٦٤
- **الملحمة الخالدة** ٦٧
- **سبايا إلى الكوفة** ٧٠
- **تتجدّد المصائب** ٧٥
- **إقامة الشعائر الحسينيّة** ٨٠
- إقامة المآتم على سيد الشّهداء عليه السلام ٨٤
- تطوّر المآتم الحسينيّة ٨٧
- دور المجالس الحسينيّة ٨٩

- لماذا نجدّد العزاء على الحسين عليه السلام ؟! ٨٩
- **مشروعيّة البكاء على الميت** ٩٣
- دور المواكب العزائيّة ٩٥
- الذكرى الخالدة ٩٥
- **لماذا البكاء على الحسين عليه السلام ؟** ٩٩
- **ذكرى الأربعين** ١٠٥
- **فضل زيارة الحسين عليه السلام** ١٠٨

مقدّمة

سعت لجنة الغريفي الثقافيّة جاهدة لجمع وترتيب محاضرات سماحة العلّامة الشهيد السيد أحمد الغريفي قدس سره، وإخراجها إلى النّور بعد طول انتظارٍ، وها هي اليوم تخرج في حلقتها الثانية ذات موضوعٍ واحد.

هذا الكتيّب عبارة عن مجموعة محاضرات وكلمات أُلقيت في شهر محرم الحرام لعدّة سنوات، فقد تمّ جمعها وترتيبها بحسب التسلسل الموضوعي الذي يتناسب مع أحداث واقعة كربلاء وليالي الموسم العاشورائيّ، وبعض التساؤلات التي تتعلّق بالقضيّة الحسينيّة والممارسات العاشورائيّة.

ولا زالت اللجنة تعمل على جمع وترتيب مؤلّفات العلّامة الشهيد السيد أحمد الغريفي قدس سره.

نسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزان إعمال العلّامة الشهيد السيد أحمد الغريفي تغمّده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنّته مع محمدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

لجنة الغريفي الثقافيّة

الشّهادة ومفهومها في المنظور الإسلاميّ

ترتبط ذكرى الحسين بن عليّ سيد الشهداء عليه السلام بموضوع الشهادة ومفهومها في المنظور الإسلاميّ، ذلك لأنّ للإسلام مفاهيمه الخاصة في نظرته للأمور المختلفة، تنبع هذه المفاهيم من الأسس والمبادئ العقائديّة التي يدين بها المجتمع الإسلاميّ، ومن القِيم والمثل العليا التي يُنمّيها في نفس المسلم، ومن تلك الأمور (الشهادة)، فإنّ لها مفهومًا إسلاميًّا خاصًّا يرتبط ارتباطًا وثيقًا برباط العقيدة الإسلاميّة ممّا يسبغ عليها قدسيّة خاصّة.

مفهوم الحياة في نظر الإسلام

وقبل التحدّث عن هذا المفهوم لا بدّ وأنْ نتعرّف على مفهوم الحياة في نظر الإسلام، ونظرته في الحياة الدنيا، فإنّنا نجد أنّ المفهوم الإسلاميّ للحياة يظهر أولًا في حدود هذه الحياة ومداها الواسع، وموقع الإنسان في هذه الحياة، كما نجد أنّ مفهوم الحياة لا يقتصر على خصوص الحياة الدنيويّة المحدودة التي نعيشها، بل يتجاوزها إلى حياةٍ أبعد مدى - وهي الحياة الأخرى -، ولا شكّ أنّ الإيمان بالحياة الأخرى شيئ تدعو له العقائد الدينيّة السماويّة، وهو يتطلّب الإيمان بالغيب، لأنّ شؤون الآخرة ليست من القضايا المحسوسة بحسب مدركات الإنسان الحسيّة، وإنّما هي أمر غيبيّ يؤمن به الإنسان مقترنًا بإيمانه بالله

سبحانه وتعالى ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[1].

الإيمان باليوم الآخر

ويتردّد الإيمان باليوم الآخر دائمًا في كثير من الآيات بالإيمان بالله سبحانه وتعالى ممّا يجعله أمرًا لازمًا لا ينفكّ عنه، وفي مقابل ذلك توجد النزعة الماديّة والإلحاديّة والتي تنكر مبدأ الإيمان باليوم الآخر والحياة الثانية، ومردّ هذا الإنكار راجعٌ إلى إنكارهم للقضايا الغيبيّة التي لا يتناولها الحسّ والتجربة، وهذه النزعة قديمة وُجدت بين الفلاسفة الإغريق - وجدها الفلاسفة الغربيّون أخيرًا، وقالوا بها - ولا شكّ أنّ هذه النّزعة الماديّة الصِرفة كان لها تأثيرٌ سيِّئٌ في حياة الإنسان إذ جعلته لا يهتمّ إلّا بخصوص مصالحه الشخصيّة ومنافعه الخاصّة، ونمت في نفسه الرّوح الأنانيّة الاستغلاليّة، ذلك لأنّ الحياة في نظر هؤلاء ليست إلّا محدودة بحدود هذه الدنيا الفانية ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلّا الدَّهْرُ﴾[2]، ومن الطبيعيّ أنْ تختلف نظرة هؤلاء للحياة عن المفهوم الإسلاميّ للحياة تبعًا لاختلاف النظرة، فإنّ النظرة الإسلاميّة للحياة الدنيا تتمثّل في أنّها مرحلة من المراحل التي يمرّ بها الإنسان، وليست الأولى ولا الأخيرة في سيرة وجوده، بل له حياة أخرى هي الحياة الأخرى إذ أنّ الحياة الدنيا في نظر القرآن ﴿وَمَا

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) الجاثة: ٢٤.

هَـذِهِ الْحَيَـاةُ الدُّنْيَا إِلاّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِـرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

الإنسان في هذه الحياة

أمّا موقع الإنسان في هذه الحياة، فإنّه يتمثّل في نظر الإسلام على أنّ للإنسان دورًا خاصًا في هذه الحياة يختلف عن سائر الموجودات الحيّة الأخرى، فإنّ الإنسـان ذاتٌ مخلوقةٌ لغايةٍ ولهدفٍ تامٍّ أراده الله سبحانه وتعالى أنْ يمارسه الإنسان عبر ما يسمى بخلافة الإنسان لربّه في الأرض مأخوذًا من قولـه تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2]، ولأجل ذلك كانـت مرتبة الإنسان فوق سائـر المراتب الأخرى مـن المخلوقات ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَـا بَنِـي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُـمْ فِي الْـبَرِّ وَالْبَحْـرِ وَرَزَقْنَاهُـم مِّـنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُـمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّـنْ خَلَقْنَا تَفْضِيـلاً﴾[3]، ولم يكن هذا التكريم إلّا لأنْ يأخـذ الإنسـان دوره المرسوم لـه في تحمّل مسؤوليّـة إدارة شؤون الحيـاة الدنيويّـة وفقًـا للمعايـير والقيم السماويّـة التي أمـره الله بها، وحمّلـه مسؤوليّة العمل بها ﴿إِنَّا عَرَضْنَـا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَـالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُـولاً﴾[4]، وهذه النّظرة الإسلاميّة للإنسان تختلف عن النّظرة الماديّة التي رسمتها الفلسفة الوضعيّة لوجود الإنسان، حيث إنّها اعتبرته واحدًا

(١) العنكبوت: ٦٤.
(٢) البقرة: ٣٠.
(٣) الإسراء: ٧٠.
(٤) الأحزاب: ٧٢.

مـن الحيوانات المتطـوّرة نسبيًّا والـذي تتحكّم في تصرفاتـه الكثير من الغرائـز والدوافـع الجنسيّة والاقتصاديّة، وما هـو إلّا آلة مسيَّرة لا شأن لها، ولا اختيار.

ولا شـكّ في أنّ هـذه النّظرة السلبيّة للإنسـان ذات تأثيرٍ كبيرٍ في سلوكـه وتعامله مع الأشياء، ومع أبنـاء نوعه ممّا يعني أنْ يترك له حريّة التنفيـس عـن غرائزه وميولـه وإعطائه حـقّ إشباعها بشكلٍ يـؤدّي إلى تحطيم ذاته وشخصيّته الإنسانيّة.

ممّا تقـدّم يتّضح لنا كيف أنّ النظـرة الإسلاميّة للحياة بشكلها الرحيب الواسـع، والنظرة الخاصّة للإنسان باعتبـاره فاعلًا مختارًا له دورٌ مرسومٌ في هذه الحياة الدنيا - كلّ ذلك يجعل من حياة هذا الإنسان حيـاة مفعمة بالودّ، والمحبّة، والأخـوّة، ونكران الذّات، والقناعة، والزهد - ممّا يحفظ للإنسان توازنه، واعتداله، وعدم إفراطه في إشباع غرائزه ممّا يؤدّي لنتائج عكسيّة يكون لها مساوئ على الإنسان صحيًّا، وأخلاقيًّا، واقتصاديًّـا - وقـد سلك في سبيـل ذلك طرقًا عديدة منهـا التزهيد في الحيـاة الدنيا، لا على نحو الإعراض التام عنهـا، والتجرّد عن ملذاتها، فـإنّ ذلك ممّا يتعارض مع نظرة الإسـلام للحياة ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِـرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَـا﴾[1]، ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى﴾[2]، ﴿زُيِّـنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَـاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ

(١) القصص: ٧٧.

(٢) الضحى: ٤.

الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ﴾[1].

وهكذا يتّضح أنّ النظرة الإسلاميّة للحياة هي نظرة متكافئة ومتوازنة تأخذ بعين الاعتبار أنّ هناك حياة دنيا وحياة أخرى، وينجرّ أثر ذلك في نفسيّة الإنسان المؤمن الذي يرى أنّ دور الإنسان يجب أنْ يحضر في قيامه بما يُرضي الله سبحانه، وأنّه فعّال ذو شأن في هذا الوجود وأنّ عليه أنْ يسعى في هذا السبيل، ولهذه الغاية ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾[2]، وبهذه الرّوحيّة الخاصّة التي يغرسها الإسلام في نفوس أبنائه لا يبقى الموت شبحًا مُخيفًا يهدّد حياة الإنسان، ويقطع عليه ملذّاته وشهواته الدنيويّة كما يعتقدها الماديّون - بل إنّ الموت نهاية مرحلة معيّنة من حياة الإنسان، وبداية مرحلة أخرى له - وأنّ مضي هذه الحياة الثانية من سعادة أو شقاء يتوقّف على الإنسان نفسه فيما يقدّمه في حياته الدنيا ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[3].

مسؤوليّة خلافة الله تعالى في الأرض

ولهذا فإنّ الحياة لا يبقى لها معنى إذا كانت تسير على غير ما أراده الله سبحانه، ويصبح تغييرها أمرًا لازمًا، وواجبًا على هذا الإنسان المؤمن الرّسالي الذي يتحمّل مسؤوليّة خلافة الله تعالى في

(١) آل عمران: ١٤.
(٢) الانشقاق: ٦.
(٣) الزلزلة: ٧.

الأرض، ويكون أداة لذلك التغيير حتى لو كلّفه حياته، إذ لا قيمة للحياة إزاء المبادئ التي يناضل من أجلها، ويقدّم روحه فداء لها، فهو بتقديمه لنفسه لا يعني في اعتقاده القضاء على حياته وإنهاء وجوده، بل يعني ذلك أنْ يفتح لنفسه حياة خالدة بجوار الشهداء والصدّيقين وحسن أولئك رفيقًا، ولسان حاله يقول: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

التصوّر الإسلاميّ للحياة والموت والشّهادة

وهذا ما يفسِّر لنا موقف الإمام الحسين عليه السلام وهو نموذج فريد في التضحية والفداء للمبدأ والعقيدة التي برز للدفاع عنها مضحّيًا في ذلك بنفسه، وموطنًا على سفك دمه وهو عالمٌ بمصيره، إلّا أنّه كما كان يقول عليه السلام: (فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادةً والحياة مع الظالمين إلّا برمًا)[2]، وقوله المشهور: (مَن لحق بي استشهد، ومن تخلّف عنّى لم يبلغ الفتح)[3]، كلّ ذلك يظهر لنا عدم الخشية من الموت، لأنّه على يقين من مصيره، ومعرفة بعاقبته، وهذا هو التصوّر الإسلاميّ للحياة والموت والشّهادة في سبيل الله، وهو تصوّر يناقض كلّ التصورات المادّية الأخرى والتي ترى أنّ الحياة ليست سوى هذه الحياة الدنيا - ويرى في الموت نهاية حتميّة للحياة الإنسانيّة وقضاء عليها، وإنهاء لها،

---

(١) التوبة: ٥١.

(٢) ابن نما الحلي: مثير الأحزان: ٣٢، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

(٣) المصدر السابق نفسه.

وأنّ الشّهـادة كالمـوت في معناها، فهي إذن تفقد الغايـة النبيلة التي من أجلهـا يقـدّم الإنسان نفسه قربانًـا - بينما هي في نظـر الإسلام درجة عاليـة ينالهـا الفـرد المسلم المجاهـد في سبيـل الله تجعلـه في مصاف الشّهـداء، والأنبيـاء، والصدّيقـين، وتجعل المـوت بالنسبـة إليهم حياة أخـرى عند الله تعـالى ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيـلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَـاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَـآ آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِيـنَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِـمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

(١) آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠.

بين صلح الحسن.. وثورة الحسين عليهما السلام

اختلف الباحثون من غير الشيعة في مقام تقييم ثورة الحسين عليه السلام واستخلاص نتائجها، فهم بين مَن يُلقي اللوم والعتاب على الإمام الحسين عليه السلام حيث إنّه لم يمدّ يده لبيعة يزيد كما فعل أخوه الحسن عليه السلام من قبله ويُنهي النزاع، ويحفظ وحدة الكلمة، وآخرون من المؤرّخين والكتّاب يرى العكس وأنّ ما قام به الإمام الحسين عليه السلام من ثورةٍ في وجه يزيد إنّما يعكس موقفه المعارِض منذ أنْ صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية، فهو وحسب ما يدّعون لم يكن موافقًا على ذلك الصلح بل كان معترضًا، لأنّ الصلح وكما يصوّرونه عنه يمثّل نحوًا من الخنوع والتسليم، ويرجع إلى اختلاف وجهتي النّظر بينه وبين أخيه الإمام الحسن عليه السلام، ومزاج كلّ منهما حيث ادعوا زورًا وبهتانًا أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان صاحب دِعة، ويحبّ العافية دون أنْ يعنيه شيئ من أمور المسلمين.

والواقع، وبغض النّظر عمّا نعتقده من عصمة كلّ من الإمامين السبطين عليهما السلام والتي نصّ عليها القرآن في آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰه لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، وما قاله النّبيّ محمد صلى الله عليه وآله في حقّهما وأنّهما من العترة الطاهرة التي هي عِدل الكتاب الكريم، وأنّهما لا يفترقان عنه أبدًا، وأنّ الأمّة مدعوة للتمسك بهما كما هو نصّ حديث الثقلين المروي بطرقٍ صحيحة عند المسلمين، وكذلك نصّ

(١) الأحزاب: ٣٣.

النّبـيّ صلى الله عليه وآله القائـل: (الحسن والحسين إمامان قامـا، أو قعدا)[1] ممّا يـدلّ ودون أدنى شكٍّ على صحّة تصرّف كلّ منهما، وشرعيّة الدور الذي يقومان به.

المبرّرات الموضوعيّة لصلح الإمام الحسن عليه السلام

أقول - مع الغضّ عن هذا كله - بمنطق الواقع والتاريخ: إنّ الإمام الحسـن عليه السلام لم يكـن ليمدّ يده للصلح مع معاوية رغبـةً في الصلح وحبًّا للعافيـة وإيثـارًا للدِّعة، بل كان نـزولًا عند مقتضى الوقائـع الموضوعيّة، وإيثـارًا للمصلحـة الإسلاميّة العليـا حفظًا لكيان المسلمـين من تربّص أعدائهم الكافرين الذين حاولوا أنْ يستغلّوا الفرصة للإغارة على الثغور الإسلاميّـة، وتهديد المسلمين، وكذلك حقنًا لدمـاء المسلمين التي أُريقت بفعل هـذه النزاعات الداخليّة التي ابتلي بهـا المسلمون ردحًا من الزّمن أجـجّ نيرانها زمـرة من المغامريـن والحانقين ممّن جعلـوا من الإسلام ذريعـة يتوصّلون -عـن طريقه - إلى تحقيق غايتهـم وأهدافهم للوصول إلى السلطـة، والاستئثـار بالحكم بعد أنْ أصبح الحكـم القويّ في يد مَن أراد الوصـول إليـه عن طريـق القوّة أحيانًـا، وطريق الخـداع والتّضليل أحيانًا أخرى.

لذلـك فإنّ الإمام الحسن عليه السلام مـا إنْ تسلّم زمام الحكم من بعد

---

(١) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب: ٣/١٦٣، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

مقتـل أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ومبايعته خليفـةً على المسلمين حتى قامت في وجهـه المتاعـب والمشاكل التي ما زال يثيرها معاويـة وأتباعه من أهل الشّام ممّن جنّدهم معاوية بالأموال، وربّاهم طيلة عشرين سنة قضاها واليًـا عليهم من قبل الخلفاء، فأصبحوا طوع أمره ورهن إشارته، وغرس في أذهانهـم الولاء له باعتبـاره صاحب الحقّ الشرعـيّ في المطالبة بدم عثمان، وأنّه يسعى لأجل القصاص من قتلته، واستطاع بدهائه ومكره أنْ يُموِّه الحقائق، ويشيع في الأوساط الاتهامات للإمام عليٍّ عليه السلام، وأصحابه بتدبير الثورة على عثمان.

وفي الوقت نفسه لم يكن الجيش الذي تحت إمرة الحسن عليه السلام في حالة استعداد، بل كانت الفوضى شائعة بين أفراده، والفرقة والاختلاف تسـود أركانه، ومثل هذا الجيش الموزّع الأهـواء، والمتعدّد الولاء، والبعيد عـن الانضبـاط لم يكن في حالةٍ تؤهّلـه لخوض معركـةٍ فاصلةٍ مع جيش معاويـة، ومـع ذلك فقـد جهّز الإمـام الحسن عليه السلام هذا الجيش، وقاده بنفسـه لمواجهة أهـل الشّـام إلّا أنّ الخيانـة، وتسرّب أعـداد كبيرة من أفـراده وقوّاده إلى جانب معاوية بفعل الهدايـا والأموال التي كان يبعثها معاوية إلى أعيان القبائل، وقادة الجيش جعلت من السهل جدًّا أنْ تحصل الهزيمة والانشقاق بين صفوفه، لذلك آثر الإمام الحسن عليه السلام أنْ يتخلّى عـن القيادة السياسيّة وفق شروط شرطها علـى معاوية، وقد كانت هذه الشروط كافية وحدها لو طبقت أنْ تعيد للأمّة وحدتها، وتحفظ لها قوتها، وتجعـل من معاويـة حاكمًا رمزيًّا علـى المسلمين بمقتضـى الأمر الواقع.

ولكـنّ الإمام الحسـن عليه السلام وهو يعلم أنّ معاوية لم يكن لينفّذ هذه الشروط، وأنْ يسير بسيرة الصالحين، ويسوس الأمّة وِفق الكتاب والسُّنة، إلّا أنّـه أراد أنْ تعلـم الأمّة بمجموعهـا هذه الشخصيّـة، وأنْ تظهر لهم الأهـداف الحقيقيّة التي يسعى معاوية للوصول إليها وتحقيقها، ويدركوا أنّ معاويـة لم يكـن يهمّه أمـر المسلمين، ولا دينهم بمقدار مـا كان يهمّه التسلّط عليهـم، والتّحكم في رقابهم إرضاءً لغريـزة حبّ السيطرة التي كانـت تدفعه، وتحقيقًا لأحلام الأمويّين في الوصول إلى الواجهة والقيادة بعـد أنْ أُقصوا عنها بعـد انتصار الإسلام، وإبعـاد الأمويين عن مراكز السلطة العليا على يد النّبيّ صلى الله عليه وآله.

وقـد بـدت الحقيقة واضحـة، وتكشّفت النوايا الخبيثـة التي كان يضمرهـا معاوية في نفسـه، وأدرك المسلمون أبعاد المؤامرة التي خدعهم بها معاوية، وتحرّكت في نفوسهم بوادر الثورة، وأظهروا الاستياء والتذمّر من سياسة معاوية وأعوانه ممّن سلّطهم على رقاب المسلمين أمثال (زياد بن أبيه) الذي ألحقـه بنسبه مخالفًا بذلك نصوص الشريعة الإسلاميّة التي تقضي بأنّ الولد للفراش وللعاهر الحجر، ولم يتورّع من قتل الرّجال الصالحين ممّن صدعوا بالحقّ، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر أمثال (حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ورشيد الهجري)، وغيرهم ممّا أثار مقتلهم نفوس المؤمنين استنكارًا لهذا العمل الشنيع.

وقد بلغ الأمر غايته في تحدّي مشاعر المسلمين حينما فرض عليهم ودون رضـا منهم مبايعة ابنه يزيد واليًا للعهد، وخليفة على المسلمين من

بعده ضاربًا بذلك المبادئ الإسلاميّة في أصول الحكم.

وكان لهذا الحدث وقع سيِّئ في نفوس قادة المسلمين، وأهل الحل والعقد منهم ممّا أثار استياءً عامًّا، واستنكارًا واسعًا لهذه الخطوة التي أقدم عليها معاوية.

وفي مثل هذا الجوّ المشحون بالتوتّر والتّذمر من قبل قطاعات عريضة من المسلمين، وبعد جريمة اغتيال الإمام الحسن عليه السلام بالسمّ الذي دبّره معاوية انتدب جماعة من المسلمين ممثّلين لهم، وكتب آخرون للإمام الحسين عليه السلام يعرضون عليه البيعة ويعدونه بالوقوف إلى جانبه لمقاومة معاوية إلّا أنّ الإمام الحسين عليه السلام - وهو يدرك أنّ الوقت لم يحن بعد لشهر السلاح في وجه الأمويين - طلب منهم الانتظار والتريّث حتى يموت معاوية، وينتهي دوره.

مِنْ كلّ ذلك نجد أنّ صلح الحسن عليه السلام إنّما كان إجراءً مرحليًّا اقتضته الظروف السياسيّة، كما أنّ موقف الحسين عليه السلام بعد وفاته والتزامه السكوت إنّما كان من أجل انتظار الفرص، وتهيئة النفوس بحيث تنطلق بذاتها، وتتحسس مسؤولياتها الإسلاميّة، وتكون حركة الحسين عليه السلام ومقاومته للحكم في وقتها، وتعطي النتائج المرجوّة منها.

الإمام الحسين عليه السلام يرفض البيعة ليزيد

وقد حانت هذه الفرصة بعد وفاة معاوية مباشرة وتولّي ابنه يزيد عرش الخلافة حيث أرسل على واليه في المدينة يوصيه بأخذ البيعة من

الحسين بن عليّ عليه السلام ، فما كان من الوالي المذكور إلّا أنْ استدعى الإمام الحسين عليه السلام ، وعرض عليه البيعة ليزيد ، ولكنّ الإمام الحسين عليه السلام فضّل أنْ يكون ذلك الطلب في محضر جمعٍ من أعيان المسلمين، وكأنّه يريد بذلك أنْ يكشف أمام جمهور المسلمين حقيقة موقفه تجاه يزيد والسلطة الأمويّة، وأغلب الظنّ أنّه كان يريد أنْ يذكّر الأمّة بالعهود والمواثيق التي التزم بها معاوية في معاهدة الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام حيث تعهّد معاوية بموجب الشروط التي أملاها الإمام الحسن عليه السلام عليه أنْ يعيد الخلافة إلى الحسن عليه السلام ، أو إلى الحسين عليه السلام من بعده -إذا توفّي هو-، وأنّ إسناد الأمر ليزيد بن معاوية يخالف بصراحة كافّة العهود والمواثيق المتفق عليها، كما أنّه خرق واضح لما تعارف عليه المسلمون من اختيار الخليفة من بين أصحاب الكفاءة والمكانة من علية المسلمين، ومن أهل الحلّ والعقد، وتولية يزيد تأتي سابقة خطيرة في هذا الخصوص، إلّا أنّ رأس الفتنة المعروف وهو (مروان بن الحكم) الذي كان جالسًا في ذلك المحضر - وهو معروف بعداوته وحقده لأهل البيت عليهم السلام - أراد أنْ يؤلّب الوالي على الحسين عليه السلام ، ويحرّضه على الإلحاح بطلب البيعة في الحال من الحسين عليه السلام ليزيد إدراكًا منه لما يبيّته الحسين عليه السلام ، ومعرفة منه لحقيقة موقفه، ويدرك أنّ الأمر قد يتطوّر إلى ما لا تُحمد عقباه بالنسبة لبني أميّة، وربّما يكون نهاية حكمهم بعد رفض الحسين عليه السلام العلنيّ لبيعة يزيد، وهذا ما كان يخشاه!

ولم يتمالك الحسين عليه السلام من أنْ يظهر ما كان مكنونًا في نفسه، ويصرِّح بحقيقة رأيه، وأنّه ليس ذلك الشخص الذي يُعطي البيعة ليزيد بن معاوية، فمَن هو يزيد؟!، ومَن هو الحسين؟!

إنّ سيرة يزيد وتاريخه الشخصيّ لا يؤهّله لئَن يتولّى أمر الأمّة، فهو معروفٌ مشهورٌ بفسقه، وفجوره، ولعبه باللعب واللهو، فكيف يمكن للحسين عليه السلام أنْ يقبل بإسناد ولاية أمر المسلمين لمثل هذا الباغي؟!

وبأيّ ميزانٍ يمكن أنْ يستحق يزيد أنْ يتبوَّأ قيادة أمر الأمّة الإسلاميّة؟!

فلا البيت الذي ينتمي إليه هو بيت شرفٍ ومكانةٍ في الإسلام، بل إنّه سليل أبي سفيان المعروف بعدائه ومناوأته للإسلام منذ البداية حتى استسلم خشيةً من السيف بعد أنْ فتح الله على يد رسوله صلى الله عليه وآله مكّة، فمن كان هذا جدّه وأبوه معاوية ممَّن قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، مثل هذه الأسرة لا يمكن أنْ تنجب ابنًا إلّا على بُغض الإسلام والكراهية له، إضافةً إلى أنّه لا سابقة له في الإسلام وشهرته بسلوكه المشين، لذلك لم يخشَ الإمام الحسين عليه السلام من أنْ يصرخ في وجه الوالي رافضًا البيعة قائلًا: (إنّا أهل بيت النّبوّة، ومعدن الرّسالة، ومختلف الملائكة بنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجلٌ فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يُبايع مثله)[1].

---

(١) ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف: ١٧، في أخذ البيعة ليزيد، الطبعة: الأولى، أنوار الهدى، قم - إيران.

القيامُ بالثورة

كان خـروج الحسـين عليه السلام في وجه يزيـد من أجل الدّيـن ليس إلّا كمـا سمع وهو يقـول: (...، وأنّي لم أخرج أشرًا، ولا بطـرًا، ولا مفسدًا، ولا ظالمًـا، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّـة جدّي صلى الله عليه وآله أُريد أنْ آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر)[1]، والحسين عليه السلام إمامٌ سواء بايعه النّاس، أو لم يبايعـوه، فهـو إمامٌ مفترض الطاعة، وليس للأمّة شـأنٌ في تعيينه واختيـاره، فقد اختـاره الله سبحانـه ورسوله صلى الله عليه وآله لهـذا المنصب، وإنّ مطالبته بالخلافة جاءت لتعبِّر عن ضرورة استلامه لمسؤوليّته السياسيّة، وقيامـه بوظيفته الشرعيّة، وهو حين يكون بعيدًا عـن السلطة، فهو إمامٌ أيضًـا، والواجب على الأمّة أنْ تولّيه زمام أمورها، وتسلّمه قيادتها، ومتى ما تخلّت عن ذلك فقد قصّرت في القيام بواجبها المفروض، وعصت أمر ربّها سبحانه، ونبيّها صلى الله عليه وآله.

فالإمـام الحسـين عليه السلام حينما ثار على يزيـد لم يكن لفرض تولي السلطـة، فـإنّ السلطة الشرعيّة هي له حتى ولـو اغتصبها غيرُه بالقوة، فهو إنّما ثار من أجل كرامة الدّين التي أهينت بتولية يزيد على المسلمين، ومَـن هو يزيد إنّه لاعب الشطرنج، شارب الخمر!، ومثل الحسين عليه السلام لا

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ٣٢٩/٤٤. الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان.

يبايع يزيد، فقد امتنع الحسين عليه السلام عن بيعته قيامًا بواجبه الشرعيّ، وثار في وجهه حينما حاولت السلطة إجباره على البيعة والخضوع لحكم الطاغية يزيد.

فلم تكن ثورة الحسين عليه السلام إلقاء له في التّهلكة كما يقول بعض المؤرخين بمقدار ما كانت دفاعًا عن الإسلام وحفظًا للكيان، إذ رأى أنّ وجود الإسلام كشريعة يتوقّف على إراقة دمه الطّاهر (إنْ كان دين محمدٍ لم يستقم إلّا بقتلي يا سيوف خذيني[1])، فروّى بدمه الطّاهر شجرة الإسلام التي أوشكت على الذّبول، تلك الشجرة التي بذرها النّبيّ صلى الله عليه وآله، ورعاها عليٌّ عليه السلام، والحسن عليه السلام وحاول بنو أميّة استئصالها، فروّاها الحسين عليه السلام بدمه الطاهر.

وقيام الحسين عليه السلام بثورته ضدّ يزيد لا ينافي صلح الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية، فكما ذكرتُ أنّ الإمامة مقتضية فيهما نصًّا واختيارًا من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله: (الحسن والحسين إمامان قاما، أو قعدا)[2].

فالحسن عليه السلام هو الإمام قبل الصلح وبعد الصلح، إذ لم يتخلَّ عن الإمامة، وإنّما اعتزل المسؤوليّة السياسيّة حِفاظًا على وحدة الإسلام، ولم يكن هناك منافاة، فإنّ الظروف التي دعت الإمام الحسن عليه السلام

---

(١) أعيان الشيعة ١: ٥٨١، اعتبر هذه الجملة لسان حال، فيما اعتبرها كتاب تراث كربلاء: ٨٦ شعرًا للشيخ محسن أبو الحب (المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ).

(٢) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب: ١٦٣/٣، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

للصلـح هي غير الظـروف التي دعـت الإمام الحسـين عليه السلام على الثورة حيـث كان الحكم المعاصر للإمام الحسن عليه السلام يتظاهر بالإسلام شكلًا، وأمّا حكم يزيد، فهو تطورٌ خطيرٌ في حياة الأمّة، وانحرافٌ عظيمٌ يحتاج إلى تصحيح، وليس هناك من علاج لهذا الانحراف إلّا الخروج في وجهه إظهارًا للأمّة بعدم مشروعيّته.

وقد كان لهذه الثـورة نتائج خطيرة ذكرها التأريخ، فقد أتت على الكيـان الأمـويّ، فما هي إلّا سنواتٌ حتى هلك يزيـد وتولّى مِن بعده ابنه معاوية الذي تخلّى عن السلطة بعد أنْ اعترف بما قام به جدّه، وأبوه من جرائم بحقّ الإسلام، ويكفي ذلك دليلًا على آثار الثورة الحسينيّة.

دور المرأة في معركة كربلاء

وقد كان للمرأة المسلمة دورٌ كبيرٌ في معركة كربلاء تجلّى في موقف السيـدة (زينب بنت عليٍّ) عليها السلام، والتي يرجـع الفضل إليها وإلى الإمام زيـن العابديـن عليه السلام في توعيـة الرأي العـام الذي انهالت عليـه أكاذيب النّظام الحاكم بأنّ هؤلاء خوارج!

فقـد أوضحـت في خطبهـا الصارخة سـواء في مجلـس الطاغية (عُبيـد الله بن زيـاد) في الكوفة، أو في مجلس يزيـد في الشام انحراف الحكم، وخروجه عن الإسلام ممّا أثار في النّاس روح الثورة على السلطة الحاكمـة، فهزّت بخطبها مشاعـر النّاس حتى أدّى الأمـر بأنْ تعقد أول مجلس للعزاء على الحسين في بيت يزيد نفسه!!

لماذا لم يثرْ الإمام الحسين عليه السلام في وجه معاوية؟!

فـإذا كانت هكذا نتائج تحقّقت نتيجة لثـورة الإمام الحسين عليه السلام بوجه يزيد، فلماذا لم يثرْ في وجه معاوية قبل ذلك ؟!

لم يـثرْ الحسـين عليه السلام في عهد معاويـة، لأنّ المجتمـع لم يكن مهيَّأً للثـورة، وكان هذا السبـب ذاته الذي دفع بالحسـن عليه السلام إلى أنْ يُصالح معاوية بعد ما تبيّن له عقم محاولة المعني في الصراع ولولا ذلك لما صالح الحسن عليه السلام معاوية، ولما قعد الحسين عليه السلام عن الثورة على معاوية.

تهيئة المجتمع للثورة

وقـد أضاف هذا الصلح سببًا آخـرًا منع الحسين عليه السلام من الثورة علـى معاوية الذي كانت شخصيّتـه عاملًا في جعل الثورة عليه عملًا غير مضمون النّجاح، ولذا كان لا بدّ للحسن عليه السلام والحسين عليه السلام من أنْ يهيِّئا هذا المجتمع للثورة، وأنْ يعدّاه لها.

وقـد مضت الدّعوة للثورة على الحكـم الأمويّ تنتشر بنجاح طيلة عهـد معاوية، وتجـد غذاءَها في ظلـم معاوية، وجوره، وبعـده عن تمثيل الحكـم الإسلامـيّ الصحيح حتى انتهـى الأمر إلى هـذا النجاح الكبير الـذي أوجـزه الدكتور طه حسـين في هذه الكلمات: (ومـات معاوية حين مات وكثيرٌ من الناس وعامّة أهل العراق - بنوعٍ خاص - يرون بغض بني أميّة، وحبّ أهل البيت دينًا لأنفسهم)[1].

(١) الدكتور طه حسين: علي وبنوه: ص ٢٩٥.

أمّـا يزيـد، فكان على الضـدّ مع أبيـه في كلّ مـا كان يحـول بين الحسـين عليه السلام وبين الثورة على أبيه، فلقـد كان يزيد من أبعد الناس عن الحـذر والحيطة والـتروِّي، كان إنسانًا صغـيرَ العقل، متهـوِّرًا، سطحيّ التفكير، ولا يهمّ بشيءٍ إلّا ركبه، وأسلوبه في معالجة المشاكل التي واجهته خـلال حكمه يعزّز وجهـة النّظر هذه كأسلوبـه في معالجة ثورة الحسين عليه السلام، وأسلوبه في معالجة ثورة أهل المدينة، وأسلوبه في معالجة ثورة ابن الزبير.

وتدلّ بعض الملاحظات التي ذكرها المؤرِّخون عن حياته العاطفيّة أنّ هـذا النَّـزَق، والتّهـوّر، والاستجابة السريعـة للانفعال ليسـت أمورًا عارضة، بل هي سمات أصليّة في شخصيّته.

ونشـأة يزيد المسيحيّة، أو القريبة مـن المسيحيّة جعلته أضعف ما يكـون صلةً بالعقيدة التي يحكم الناس باسمها -أعني الإسلام-، وحياة التحلّـل التي عاشهـا قبل أنْ يلي الحكـم والانسياق مـع العاطفة، وتلبية كلّ رغباتـه كلّ ذلك جعله عاجزًا عن التظاهـر بالورع والتقوى، والتلبّس بلباس الدّين بعد أنْ حكم المسلمين، هذا بالإضافة إلى أنّ طبيعته النَّزِقة جعلته يجاهر أمام النّاس بارتكاب المحرّمات، ويُقارف الآثام، ممّا عرّف الناس بمدى بُعده عن الصلاحية لتولّي منصب الخلافة.

ومـن ثمّ فلن يكون في وُسـع أنصار الحكم الأمـويّ أنْ يلوِّثوا ثورة الحسين عليه السلام أمام الرّأي العام بأنّها ثورة في سبيل المُلك، لأنّ العامّة ترى أنّ مبرّرات هذه الثورة موجودة في سلوك يزيد نفسه، هذا السّلوك الذي لا

يلتقي مع الدِّين على صعيد، وسيقبل النّاس بلا تردّد تبرير الحسين عليه السلام، وأنصاره لثورتهم بحماية الدّين وإنقاذ المسلمين من جور الأمويين.

معاوية يحاول تقيد الإمام الحسين عليه السلام ببيعة يزيد

وقد حاول معاوية أنْ يقيّد الإمام الحسين عليه السلام ببيعة يزيد، ويضمن على الأقل سكوت الإمام الحسين عليه السلام عن يزيد فلم يفز بطائل.

وفي ذلك يروي المؤرّخون عدّة مواقف للحسين عليه السلام مع معاوية حين أخذ يعدّ الأمر لابنه يزيد من بعده.

أمّا موقف الحسين عليه السلام من البيعة ليزيد، فإنّ المجتمع الإسلاميّ قد اكتشف ما فيه الكفاية من عورات الحكم الأمويّ، وذاق طعم عذابه، وخبر ألوانًا من تعسُّفه وظلمه في الأرزاق والكرامات حتى انزاحت عن بصيرته الغشاوة التي رانت عليها في أول عهد معاوية.

ولم يكن يزيد بمثّل تروِّي أبيه، وحزمه، واحتياطه للأمور، ولم يلتزم أسلوب أبيه في الاحتفاظ بالغشاء الدينيّ مسدلًا على أفعاله وتصرّفاته، ولم يكن بين الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام من جهة وبين يزيد من جهةٍ أخرى أيّ عهد، أو ميثاق.

موت معاوية يمهّد الطريق للثورة

وهكذا فقد انزاحت بموت بمعاوية ووعى المجتمع الإسلاميّ جميع الأسباب التي كانت تحول بين الحسين عليه السلام وبين الثورة في عهد معاوية،

وبدا الطريق إلى الثورة على الحكم الأمويّ ممهدًا أمام الحسين عليه السلام .

وقد جعل تلهّف يزيد على أخذ البيعة له من كبار زعماء المعارضة لـه وعلى رأسهـم الحسين عليه السلام في تتابـع الأحداث، فقـد كان أكبر همّه حـين آل الأمر إليه بعد مـوت أبيه هو بيعة النّفر الذيـن أبوا على معاوية بيعـة يزيد، فكتب إلى (الوليد بن عقبة)، وإلى المدينة كتابًا يخبره بموت معاوية، وكتابًا آخرًا يطلب فيه البيعة من الحسين عليه السلام ، وغيره.

الإمام الحسين عليه السلام يرفض البيعة ليزيد

ولكـن الحسين عليه السلام أبلغ الوالي بعدم موافقتـه على البيعة بقوله: (أيّها الأمير: إنّا أهل بيت النّبوّة، ومعدن الرّسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتـح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجلٌ فاسـق، شارب الخمر، قاتل النّفس المحرّمة، معلنٌ بالفسق، ومثلي لا يُبايع مثله)[1].

بهـذه الكلمـات أعلـن الحسـين عليه السلام ثورتـه على الحكـم الأمويّ الفاسـد، وهو على علم بمـدى عنجهيّته، وجبروتـه، وقسوته في مؤاخذة الخارجين عليـه، فقد مات معاوية وانقضى العهد والميثاق، وأصبح وجهًا لوجـهٍ أمام دوره التاريخـيّ الذي يتحتّم عليه أنْ يعيه، وأنّه لعلى يقين من أنّ حكـم يزيد لن يأخذ صبغة الشرعيّة ما دام هو ممسكًا عن بيعته، أمّا إذا بايعه، فإنّه يكون قد أكسب الغلّ الجديد الذي طوّقت به الأمّة المسلمة

(١) ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف: ١٧، في أخذ البيعة ليزيد، الطبعة: الأولى، أنوار الهدى، قم - ايران.

صفة قانونيّة شرعيّة، وهذا شيءٌ لن يفعله عليه السلام .

إنّ ثمة فرقًا عظيمًا بين أنْ تكون الأمّة راضخة لحكم ظالم ولكنّها تعلم أنّه حكم بغير حقّ، وأنّه حكم يجب أنْ يزول، وبين أنْ تخضع الأمّة لحاكمٍ ظالمٍ، وترى أنّه حكم شرعيّ لا بدّ منه، ولا يجوز تغييره.

إنّ الأمّة في الحالة الثانية ترى أنّ حياتها النّفسيّة، وأنّ التّشريد والجوع والحرمان والذّل هو قدرها الذي لا مفرّ لها منه، وهو مصيرها المحتوم الذي لا بدّ أنْ تصير إليه، وحينئذٍ يقضي على كلّ أملٍ في تغيير الأوضاع، وحينئذٍ يضمحل كلّ أملٍ في الثورة، وحينئذٍ تدعم الأمّة جلادها بدل أنْ تثور عليه، وحينئذٍ يُصار إلى الرّضا بمَا هو كائن بحسبانه، وينبغي أنْ يكون.

أمّا حين تخضع الأمّة، وهي تعلم أنّ الحاكم لا حقّ له، فحينئذٍ يبقى الأمل في التغيير حيًّا نابضًا، وتبقى الثورة مشتعلة في النفوس، وحينئذٍ يكون للثائرين مجال العمل، لأنّ التربة معدّة للثورة.

الإمام الحسين عليه السلام يُعلن الثورة

وهكذا أعلن الحسين عليه السلام ثورته بعد أنْ وجد الظروف المواتية للوقوف في وجه السلطة الغاشمة حتى ولو كلّفه ذلك نفسه وولده، فإنّ في مقتله حياةٌ للإسلام الذي جاء به جدّه الأعظم صلى الله عليه وآله .

وقام الحسين عليه السلام ، وقاوم الطغيان مع الأشاوس من أهل بيته وصحابته حيث ضرب المثل الأعلى في التضحية والفداء في سبيل الحقّ

والديـن، ورسـم للثائرين من بعده طريقًا معبّـدًا يسلكونه في الثورة على كلّ ظـالم مستبـد، وأوقد في نفوس المؤمنين روح التفـاني في سبيل الدّين بالرّوح والمال والولد، فإنّ مكانة الدّين فوق كلّ اعتبار، ولا حياة للأمّة التي لا ديـن لهـا، ولا كرامة للأمّة التي لا تتمسّك بدينهـا، فالعزّة، والكرامة، والتقدّم هـو بالتمسّك بأهداف الدّيـن، والتّحلّي والتّمثّـل بأحكامه التي ناضل وجاهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام.

أهداف الثورة الحسينيّة

لو جئنا نستجلي الأهداف التي من أجلها ثار الإمام الحسين عليه السلام، ولم يبايع ليزيد بن معاوية لوجدنا أنّ أهمّ هدفٍ كان يسعى الإمام الحسين عليه السلام إلى تحقيقه إنّما هو تبنّيه الأمّة، وإيقاظها، وتحميلها المسؤوليّة في مقاومة الظلم والجور، وإزاحة الطغيان والمنكر، ذلك لأنّ الأمّة كلّ الأمّة تتحمّل مسؤوليّة ما يفعله حكّامها من جور واستبداد وتسلّط وطغيان، لأنّها هي التي سمحت لهؤلاء بتولّي شؤونها، وجعلت في أيديهم أزمّة أمورها، فهي بالتالي المسؤولة عمّا يجنيه هؤلاء.

فكأنّ الإسلام قد عرّف الأمّة بدورها الرّساليّ الذي يجب عليها القيام به، وهو طاعة الله سبحانه، ورسوله صلى الله عليه وآله، وأولياء الأمر بعد الرّسول (عليهم الصّلاة والسّلام)؛ ليأخذوا بها نحو الخير والصلاح، ونحو سعادة الدنيا والآخرة، ولكنّ الأمّة حين رضت بتولية الأمر لغير أهله الذين أهّلهم الله تعالى لهذا الأمر تكون قد جنت على نفسها، يقول الإمام الحسين عليه السلام: (وكنّا أهله، وأولياءه، وأوصياءه، وورثته، وأحقّ الناس بمقامه في النّاس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا، وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحق علينا ممّن تولاه)[1].

ولم يكن سكوت الأئمّة عليهم السلام عن حقّهم، والمطالبة بمنصبهم

(١) الطبري: تاريخ الطبري: ٢٢٦/٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

إعراضًا منهم عن حقّهم، وقبولًا بما صار إليه أمر الأمّة، وإنّما كانوا ينتظرون مِن الأمّة أنْ تستيقظ، وتُعيد الحقّ إلى أهله، ولكنّ الأمر تمادى بالأمّة إلى الحدّ الذي وصلت إليه الحال الذي سمح بتقلّد شخصٍ من رعاع الأمّة، وأراذلها شؤون المسلمين ممّا يعني أنّ الحال قد وصلت إلى درجةٍ لا يمكن السكوت عليها، ولا التّغاضي عنها، فإنّ السُّنة قد أميتت، وكما قال الإمام الحسين عليه السلام، بل وصل الأمر إلى أنْ طُلب من الإمام الحسين عليه السلام، وهو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيّد شباب أهل الجنّة أنْ يُبايع يزيد، وأنْ يعترف بشرعيّة حكمه، وهذا ما رفضه الإمام الحسين عليه السلام أشدّ الرّفض، وقاومه أشدّ المقاومة: (أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النّبوّة، ومعدن الرّسالة، ومختلف الملائكة بنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يُبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة، والبيعة)[1]

وهكذا يتجلّى لنا أنّ الحسين عليه السلام بعد أنْ وصل الحال إلى هذه الدرجة التي لا تُطاق، ولا تقبل المساومة، أعلن الثورة، إذ كيف يقبل الحسين عليه السلام بأنْ يُذعن، ويبايع يزيد بن معاوية، وهل معنى ذلك إلّا القضاء على الإسلام، ومحو آثاره لذلك قال عليه السلام عندما أشار عليه (مروان بن الحكم) بمبايعة يزيد: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى

(١) ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف: ١٧، في أخذ البيعة ليزيد، الطبعة: الأولى، أنوار الهدى، قم – ايران.

الإسلام السّلام إذ قد بُليت الأمّة براعٍ مثل يزيد، ولقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الخلافة محرّمة على أبى سفيان)[1].

فالواجب الإسلاميّ هو الذي دفع الإمام الحسين عليه السلام إلى رفض البيعة، بل ولم يكتفِ بهذا الموقف الذي يكلّفه حياته ثمنًا لهذا الرّفض، إذ أنّ النتيجة المعروفة سلفًا لهذا الموقف هو القتل، ويشير إلى ذلك في خطبته المشهورة والتي خطبها عند عزمه على الخروج من مكة: (خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخِير لي مصرعٌ أنا لاقيه كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأنَ منّى أكراشًا جوفًا، وأجربةً سغبًا لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه، ويوفّينا أجور الصابرين...)[2].

والحسين عليه السلام مع علمه بهذا المصير المحتوم لكن ذلك لا يمنعه من الخروج، وإظهار عدم الرّضا، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، قال عليه السلام: (إنّي لم أخرج أشرًا، ولا بطرًا، ولا مفسدًا، ولا ظالمًا وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي صلى الله عليه وآله أريد أنْ آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي صلى الله عليه وآله، وأبي عليّ بن أبي طالب، فمَن قبلني بقبول الحقّ، فالله أولى بالحقّ، ومَن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله

(١) ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف: ١٧، في أخذ البيعة ليزيد، الطبعة: الأولى، أنوار الهدى، قم - ايران.

(٢) ابن نما الحلي: مثير الأحزان: ٢٩، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

بيني وبين القوم بالحقّ، وهو خير الحاكمين..)[1].

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ٣٢٩/٤٤. الطبعة الثانية، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت – لبنان.

الحسين عليه السلام يلبّي النداء

أظهـر الإمام الحسـين عليه السلام الاستجابة لأهل الكوفـة الذين كتبوا إليـه يدعونه للمجيئ إليهـم، ويعاهدونه على السـير معه وتحت قيادته، ويؤكّـدون أنّهـم نزعـوا الطاعة والـولاء لبنـي أميّة، وأنّهـم لا يحضرون الجماعة، ولا يقابلون الوالي.

ولكنّ الإمام الحسين عليه السلام وقد خبر أهل الكوفة، وعرف أوضاعها، وطبقات النّاس فيها، لم يكن ليسارع إلى الخروج إلى الكوفة ما لم يتأكّد من صدق نواياهـم، ومقدار استعدادهم، إضافـة إلى التريّث والانتظار الـذي يجـب في مثل هـذه الأحوال، وقـد أشار عليـه جماعة مـن أعيان الصحابـة بعدم الخـروج إلى الكوفة لمواقـف أهلها السابقـة من الإمام علـي عليه السلام، والإمـام الحسن عليه السلام وخـذلان أهل الكوفة لهمـا، وقد كانت تحذيـرات هـؤلاء مبنيّة على معرفتهـم بأحوال أهل هـذه المنطقة، وهم معروفون بتقلّب الآراء، وكثرة النّزعات والأحزاب، وتمرّدهم على الولاة، وربّمـا يعـزى ذلك إلى طبيعـة هذه المنطقـة التي كانت موطـن حضارة سابقـة، وكانـت خاضعة للفرس قبـل دخولها الإسـلام، فامتزجت فيها الثقافـات المختلفة، وتأثر العرب الذين هاجـروا إليها، ونزحوا إليها بعد الفتح الإسلاميّ تلك العادات ممّا طبّعهم بطابعها الاجتماعيّ والنّفسيّ، ولم تكـن الكوفـة يومذاك خالصـة التّشيّع لأهل البيـت عليهم السلام - كما قد يُتوهّـم - بل كان فيهـا قطاعات أخرى من الخـوارج، والعثمانيين الذين

يميلـون مع بنـي أميّة، وكذلـك طائفة مـن الفرس واليهـود والنّصارى، فكانت تركيبة هذا المجتمع معقّدة، ولأجل ذلك توجّس ابن عباس، وغيره من أهل الكوفة، ومِنْ صِدق نواياهم وإخلاصهم، لكنّ الحسين عليه السلام فضّل أنْ يرسـل مـن قِبله رسـولًا إلى أهل الكوفة يقوم بـدور استطلاع الحال، ودراسة الموقف علـى الطبيعة، ويكتب للحسين عليه السلام بعد ذلك تقريرًا عن حالة الوضع هناك.

سفير الحسين عليه السلام لأهل الكوفة

وقـد وقع اختياره على ابن عمّه (مسلـم بن عقيل)؛ ليكون سفيره إلى أهـل الكوفـة، وزوّده بكتـاب موجّه إلى أهل الكوفـة، يعدهم فيه بأنّه علـى استعداد لإجابتهم، بعد أنْ يُرسل إليه مبعوثه بحقيقة الحال، وممّا جـاء فيه: (وأنا باعثٌ إليكم أخي، وابن عمّي، وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إليّ بأنّه قد اجتمع رأي ملئكم، وذوي الحِجى والفضل منكم على مثل مـا قدّمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فإنّي أقدم إليكم وشيـكًا إنْ شـاء الله، فلعمـري مـا الإمـام إلّا الحاكم بالكتـاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذلك لله، والسلام)[1].

الحسين عليه السلام يعدل عن الحج متوجّهًا نحو العراق

وقد بقي الإمام الحسين عليه السلام في انتظار التقرير الذي سوف يوافيه بـه (مسلم بن عقيل) من الكوفة، إلّا أنّه وبصورة مفاجِئة في مكّة للتوجّه

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ٣٣٤/٤٤. الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت – لبنان.

نحـو عرفـات لأداء مناسك الحجّ أعلن الحسـين عليه السلام عدوله عن الحج، وعزمـه على التوجّه نحو العـراق، فأثار هذا النبـأ الدهشة والاستغراب حفيـد داعية الحقّ الأول، ومبلغ الرّسالة السمحاء، ورسول الله إلى كافة الخلـق، وأبوه أمير المؤمنين الذي نذر حياته في سبيل الله تعالى، وضحّى بنفسه دفاعًا عن الحقّ، والدين.

والحسـين عليه السلام سليل هـذا البيت الطاهر الذيـن اصطفاهم الله تعـالى؛ ليكونـوا قـادةً للنّاس، وأئمّـة للبشريّـة، فأذهب عنهـم الرجس وطهّرهـم تطهـيرًا، وقـرنَ بهم الكتـاب العزيـز، فهم مع القـرآن دائمًا والقرآن معهم لا يتخلّفون عنه، ولا يتخلّف عنهم.

ومـن واجبهـم القيام بتطبيق أحـكام الدّين، ومراقبـة تنفيذها، فهـم الشّهداء علـى الخلق والأمنـاء عـلى الشرع، فكمـا يقول الإمـام الحسـين عليه السلام: (ما الإمام إلّا الحاكم بالكتـاب القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذلك لله...)[1].

وقيامًـا بهـذه المهمّـة، وأداءً لهـذه الوظيفـة لم يتـوانَ الإمـام الحسـين عليه السلام، ولم يتأخّر في تلبية نداء الواجب، وامتثال أمر الله بالقيام بهـذه الثورة بعدما انتهى أمر الأمّة إلى الضياع، وأصبحت في ظلّ أنظمة منحرفـة عـن الإسلام وبعيدة عـن الحـقّ، وأصبح الظّلـم والاستبداد، وغصـب الحقـوق والاستئثـار بأمـوال الأمّة هـي السِّمة الظاهـرة لهذه

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ٣٣٤/٤٤. الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت – لبنان.

الحكومـات، فلم يمكنه والحالة هذه أنْ يسكت عن الحقّ، وأنْ يغضي عن الفسـاد والمنكر، فإنّ ذلك ينافي ما يقضي به الدّين الإسلاميّ، وما يدعو إليـه من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ذلك الواجب الملقى على عاتق أبناء الأمّة، ويكون التّهاون فيه علامة خطر تنذر كيان المجتمع الإسلاميّ، وتهدّد مبادئ وأحكام الإسلام بالتزييف والانحراف.

ويـزداد الأمـر خطـورة إذا كان الانحـراف قـد ظهـر في قيـادة المسلمـين، وحكّامهـم، وولاة الأمر فيهم، ففي هذه الحالـة يصبح الأمر بالمعـروف إلزامًا لا مناص منه، ولا مندوحة عنه لما يمثّله هذا الحكم من قوّة وإمكانيّات تجعل باستطاعته أنْ يسخّر أحكام الإسلام وِفق مصالحه وأهوائه، لذلك كان من واجب الأمّة أنْ تقف في وجه الحاكم الجائر، وأنْ تأخـذ علـى يديه، فإنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله يقول: (مَـن رأى سلطانًا جائرًا مستحـلاً لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًـا لسنّة رسول الله، يعمل في عبـاد الله بالإثـم والعدوان، ثمّ لم يغيّر بقول ولا فعل كان حقيقًا على الله أنْ يدخله مدخله)[1].

وحكّام بني أميّة إضافة إلى عدم شرعيّة سلطتهم، فإنّهم لم يألوا جهدًا في تحريـف الإسلام وتغييره بعد ما استحـال عليهم القضاء عليه والعـودة إلى حكم الجاهليّة، وبدلاً من ذلك حاولـوا التّسلط على الناس باسم الإسلام، فلم يتورّعوا من ارتكاب المعاصي والمنكرات، ولم يرعوا من

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ٣٨٢/٤٤. الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت – لبنان.

فعل المخـازي والموبقات وسفك دماء المسلمين، وتبذير أموالهم، وانتهاك حرماتهـم، فهم كما يقول الإمام الحسـين عليه السلام عنهم: (قد لزموا طاعة الشيطـان، وتركوا طاعة الرّحمـن، وأظهروا الفسـاد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيئ، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله)[1].

والحسين عليه السلام قد قام بما يجب عليه، وأعلن استعداده للوقوف في وجـه الطّغاة لإعادة الحياة إلى كتاب الله تعالى، وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله، بعد أنْ تمكّـن بنو أميّة مـن أنْ يعطّلوهما، وأنْ يتنكّـروا لهما، فالحسين عليه السلام يتصدّر الحملة التي تسعى للعودة للإسلام، ويتولّى زمام المبادرة لتطبيق أحـكام الدّيـن، (إنّي أدعوكم إلى الله وإلى نبيّه، فـإنّ السنّة قد أميتت، فإنْ تجيبوا دعوتي، وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرّشاد...)[2].

ولم يبقَ لأحد من الأمّة أنْ يعتذر، أو يتقاعس عن القيام بالمساندة، ومساعدة الحسين عليه السلام لتحقيق أهدافه، بل من واجب المسلمين أنْ يبادروا إلى نصرتـه والسير تحت رايتـه حتى تعود الأمّـة إلى قيادتها الرّشيدة، ويعود إليها حكـم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، والإمام علـى استعداد لتلبية طلبهم، والقدوم والتضحية في سبيلهم.

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري: ٣٠٤/٤، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار: ٣٨٢/٤٤. الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان.

الحسين عليه السلام يستجيب لطلب أهل العراق

وقد استجاب الإمام لطلب المؤمنين ممّن اكتووا بنار الحكم الأمويّ، وتضرّروا لانحراف الحكم عن الصراط المستقيم، والنّهج الإسلاميّ الصحيح، واستغاثوا بالحسين عليه السلام ملتمسين منه القدوم إليهم، مُعلنين ولاءهم، وباذلين أرواحهم، ونفوسهم في سبيله.

ومقابل هذا الشعور الدينيّ، والوعي الثوريّ استجاب الإمام عليه السلام لطلبهم، وتوجّه قاصدًا الكوفة؛ ليجعل منها مقرًّا لثورته، ومكانًا لانطلاقته، ولتحرير سائر البقاع الإسلاميّة من سيطرة الأمويّين.

إلّا أنّ جنود الباطل كثيرون، ووسائلهم عديدة، وأساليبهم لتحقيق أغراضهم خبيثة، فلم يكن يرون لهم وهم يرون أهل الكوفة ينثالون على مبعوث الحسين عليه السلام، وسفيره يعلنون الولاء والطاعة للحسين عليه السلام، ويعاهدونه للدّفاع عن الإسلام وراء قيادته، وهؤلاء وقد استفادوا بحكم صلتهم بنظام يزيد العطايا والجوائز، والمكاسب الماديّة التي حصلوا عليها على حساب أموال النّاس! كيف يسكتون وهم يرون سلطتهم تتعرّض للخطر والزّوال بعد قدوم الحسين عليه السلام، وقيام دولة العدل والإنصاف.

وكما هي عادة المنتفعين من المقرّبين لذوي السلطة والنفوذ، فإنّهم أول مَن بادر إلى تعزيز سلطة الحاكم الجائر، وجعلوا من أنفسهم أداةً لتحقيق أغراضه، وقد تجلّى موقفهم الخيانيّ هذا في إعانتهم لعُبيد الله بن زياد، ومساعدته للقضاء على حركة مسلم بن عقيل، وتشتيت

شمـل الجموع التي بايعته بالتخويف تارةً وبالترغيب والرّشوة تارةً أخرى في الوقـت الذي كان فيه الإمام الحسـين عليه السلام يحثّ الخُطى نحو الكوفة، ويبلّغـه وهو في الطريـق ارتداد أهلها عن بيعته، وقتـل ابن عمّه، ورسوله إليهم، فما زاده ذلك إلّا تصميمًا على المضيّ، ومواصلة السير نحو هدفه وغايتـه، فهـو لم يخرج من مكّـة وفي نيّته العودة إليهـا، ولم يكن ليخاف علـى حياته بعد أنْ نذرها في سبيل الله سبحانـه، فالموت هو أسمى غاية ما يسعى إليها المجاهد إذا كانت به تتحقّق الأهداف، والحيّ لا مناص له من الموت، فهو غاية كلّ حيّ، ومصير كلّ إنسان.

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا مـا نوى حقًّا وجـاهد مسلمًا
وواسـى الرجال الصالحين بنفسه ... وفـارق مثبـورًا وودّع مجـرمًا
فإنْ عشت لم أندم وإنْ متُّ لم ألم ... كفى بك ذلًا أنْ تعيش وترغما[1]

فما دام يسعى لهدفٍ عظيم ومهمّة سامية، فليس الموت في سبيلها إلّا سهلًا وشرفًا خصوصًا إذا كانت الحياة في ظلّ هذه الأنظمة المنحرفة، ومع أناسٍ ابتعدوا عن تعاليـم الدّين، وتناسوا مبادئـه وقيمه وأصبحوا بعيديـن عن واقع الإسلام، وإنّما الإسلام مجرّد انتماء وارتباط ظاهريّ لأجل المصالح الشخصيّة، وكذلك كان الناس في أيام الحسين عليه السلام، فهم كمـا يصوّرهـم عليه السلام: (الناس عبيد الدنيـا، والدّين لعقٌ علـى ألسنتهم

(١) السيد محسن الأمين: لواعج الأشجان، ص ٩٤. سنة الطبع: ١٣٣١هـ، مطبعة العرفان - صيدا، الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي - قم.

يحوطونه ما درَّت معايشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلّ الدّيانون)[1].

فإذا كان النّاس بهذه المثابة، وبتلك الدرجة من البعد بفعل تسلّط حكّام الجور عليهم الذين لم يكن هدفهم إلّا التّسلط والسيطرة، ولم يكن تعنيهم أمـر الأمّة، فالحياة تبقى إذن مذمومة والمـوت من أجل إنقاذها وإعادتهـا إلى الخـطّ الصحيـح هو الغايـة، وهو في نفـس الوقت سعادة كمـا يقـول عليه السلام: (إنّي لا أرى المـوت إلّا سعادة، والحيـاة مع الظالمين إلّا برمًا[2].

ولم يكن الموت الذي اختاره الإمام عليه السلام موت الذّل والهوان، بل كان موت العزّ والإبـاء في ساحة النّضال والجهاد بالبذل والتّضحية والفداء، وفي مواقـف بطوليّة رائعـة يعجز القلم عن تسجيلهـا، ويعيى اللّسان عن وصفها.

ففي يوم عاشوراء، وعلى أرض كربلاء حدثت معركة فاصلة بين الحقّ والباطل انتصر فيها الحقّ رغم قلّته، وتقهقر الباطل رغم كثرته.

لقد قتل الحسين عليه السلام مع أولاده وأبناء عمّه والصفوة المخلصة من أصحابه، وسجّلوا بدمائهم الزّكيّة؛ أمثلة عاليّة في التّضحية، والتّفاني في سبيل المجد والخلود، فكانوا مشاعل الحقّ الغالية.

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ٣٨٣/٤٤. الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير: ٣/ ١١٥. تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي.

أنصار الثورة الحسينيّة

حينمـا نتحدّث عن أنصار الحسين عليه السلام ، فإنّنا نتحدّث عن رجالٍ من طرازٍ خاصٍّ وفريدٍ عن أبطالٍ مغاوير، ورجالٍ شجعان بكلّ ما للشجاعة من معنىً استحقوا بذلك هذا العنوان الذي صدق عليهم حقيقة لا مجازًا -إذ هـم أنصار بكلّ معاني النّصرة، والفداء، والتّضحية -لم يكن هؤلاء حثيثًا كما يحلو للبعض أنْ يصفهم بأنّهم جيش الحسين عليه السلام ، لأنّه لم تكن هناك معركة بين معسكرين بالمعنى المعروف للحرب والقتال المألوف، ولم يكـن الحسين عليه السلام خارجًا للقتال، أو مستعدًا للمواجهة الدّمويّة، فلو كان كذلك لكان عليه أنْ يُعدّ للأمر عدّته، ويستنفر الرّجال، ولم يكن ليصحب هـذه العائلة الكبـيرة التي تضمّ الشيوخ والنسـاء والأطفال، وكيف يكون الإمام الحسين عليه السلام عازمًا على القتال والحرب بمجموعة لا تتعدّى المائة شخص، ومواجهة جيشٍ قوامه ثلاثون ألفًا.

بجمـع مـن الأرض سـدّ الفـروج وغطـى النجـود وغيطانهـا
وطـا الوحش إذ لم يجـد مهربًـا ولازمـت الطيـر أوكانها[1]

وآخر يقول:

فأظلّتهم جنود كالجراد المـنتشر مـع شمر وبن سعد كلّ كذّاب أشر[2]

---

(١) السيد حيدر الحلي: ديوان السيد حيدر الحلي: ٤٤/١. تحقيق: علي الخاقاني.
(٢) الشيخ علي آل الشيخ سليمان: رياض المدح والرّثاء ص٦١٣.

بـل كانـت عمليّة إبـادة، وتصفيـة جسديّة للإمـام الحسين عليه السلام ومَـن مـعه، وهـكذا فإنّ أنصـار الحسين عليه السلام حينما اختـاروا جـانب الحـسين عليه السلام، فإنّهم اختاروا الموت على الحياة، وآثروا الآخرة على الدنيا.

بأبـي مَن شروا لقـاء حسيـن بفـراق النّـفـوس والأرواح
وقـفـوا يدرؤون سمـر العوالـي عنـه والنبل وقـفـة الأشبـاح
فوقـوه بيض الضّبا بالنجـود الـ ـبيضِ والنـبل بالوجوه الصباح[1]

ولقـد أعربوا عن نيّتهم الصادقة هـذه في كلامهم وتصريحاتهم التـي وردت علـى لسانهم، فهـذا مسلم بن عوسجة يقـول: (أنخلّي عنك وبمـا نعـذر إلى الله سبحانـه في أداء حقّـك؟! أمـا والله حتـى أطعن في صدورهـم برمحي، وأضربهم بسيفـي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أنْ قـد حفظنـا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لـو علمت أنّي أقتل، ثمّ أحيا، ثمّ أحرق، ثمّ أحيا، ثمّ أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتك حتـى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلـك وإنّما هي قتلة واحدة، ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدًا)[2].

---

(١) السيد رضا الهندي: ديوان السيد رضا الهندي، ص ٥٣. جمع: السيد موسى الموسوي/ مراجعة وتعليق: السيد عبد الصاحب الموسوي، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، الناشر: دار الأضواء، بيروت - لبنان.

(٢) الشيخ المفيد: الإرشاد: ٢/٩٢. تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

وكذلك كان حال بقيّة الأنصار:

لا نخلّيك أو نخلّي الأعــادي   تتخلّى رؤوسهــا عن طلاها[(١)]

فهذه النفسيّة العالية، والرّوح المعنويّة القويّة التي كانت تغمر قلوب هذه الفتية المؤمنة التي لولا الكثرة العدديّة لاستطاعت أنْ تنجز المهمّات، وتغيّر مجرى الأحداث، فهم ومع هذا الموقف الصعب والظرف الحرج لم تحدّثهم نفوسهم بالفرار وترك الحسين عليه السلام وحده كما طلب هو بنفسه منهم حينما التقى بـ(نافع بن هلال) وهو يتفقّد الخيام ليلاً: (يا نافع، ألا تسلك بين هذين الجبلين، وانجُ بنفسك، فوقع نافع بن هلال على قدميه يقبّلهما، ويبكي وهو يقول: إذن ثكلت نافعًا أمُّه.

سيدي، إنّ سيفي بألف، وفرسي بمثله، فو الله الذي مَنَّ عليّ بك في هذا المكان لن أفارقك أبا عبد الله حتى يكلأ عن فري وجري)[(٢)].

والذي يشير إلى صعوبة الموقف وحراجته الظرف الذي يمكن أنْ يسوّل لبعض النّفوس الضعيفة فرصة الفرار وترك القتال ما كان يخامر نفس السيدة زينب عليها السلام وهي تشاهد هذه الجموع الحاشدة التي

(١) ديوان الشيخ هاشم الكعبي: ص ١٣ – ١٤.

هو: شاعر أهل البيت عليهم السلام الحاج الشيخ هاشم بن حردان الكعبي الدورقي، ولد ونشأ في الدورق مسكن عشائر كعب في الأهواز ثمّ سكن كربلاء والنجف توفي سنة ١٢٣١ هـ ويعد من فحول الشعراء وفي طليعتهم، له ديوان أكثره في الأئمّة عليهم السلام. راجع أدب الطّف للسيد جواد شبر: ج ٦، ص ٢١٨ – ٢١٩.

(٢) السيد شرف الدين: المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة، ٢٣٠. مراجعة وتحقيق: محمود بدري، المطبعة: عترت، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة – قم.

تحاصرهم، فهي تقول لأخيها الحسين عليه السلام: (هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم، فإنّي أخشى أنْ يسلموك عند الوثبة، فقال لها: والله لقد بلوتهم، فما وجدت فيهم إلّا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنيّة دوني استيناس الطفل إلى محالب أمّه)[1].

ويصفهم أحد الشعراء:

إذا ما خبت نار الوغى شعشعوا لها ... سيوفهم جمرًا أو قالوا توقّدي
ثقال الخطى لكن يخفّون للوغى ... سراعًا بخرصان الوشيج المسدّد
إذا أشرعوا سمر الرماح حسبتها ... كواكبَ في ليلٍ من النقع أسود
أو اصطدمت تحت الفجاج كتائب ... جرى أصيد منهم لها إثر أصيد
يكرون والأبطال طائشة الخطى ... وشخص المنايا بالعجاجة مرتدي
لووا جانبًا عن مورد الضيم فانثنوا ... على الأرض صرعى سيدًا بعد سيد
هووا للثرى نهب السيوف جسومهم ... عوار ولكن بالمكارم ترتدي[2]

دور أهل البيت عليهم السلام في كربلاء

ولم يكن أهل بيت الحسين عليه السلام من أبنائه وإخوانه وأبناء أخيه، وأبناء عمّه بأقلّ بسالة وشجاعة من الأنصار، ولم يكونوا أخفّ حماسًا منهم بل كانت لهم مواقف، ومشاهد اتّسمت بالصمود والاندفاع نحو

---

(١) مقتل الحسين للمقرم: ص ٢١٨ - ٢١٩، معالي السبطين: ج ١، ص ٣٤٤ - ٣٤٦، الدمعة الساكبة: ج ٤، ص ٢٧٣ - ٢٧٤، بتفاوت.
الأشوس: الشديد، الأقعس: المنيع.
(٢) الشيخ علي آل الشيخ سليمان: رياض المدح والرّثاء ص١٠٧.

المـوت في سبيل الله، والدفاع عن ابـن بنت رسول الله ﷺ، فكانت تلك الرّبوع شاهدة لهم على تفانيهم، واستماتتهم في سبيل الدّين.

وليـس ذلك بمستبعد في حقّهـم، فإنّهم كانوا على جانبٍ كبيرٍ من الإيمان بأنّهم على الحقّ، وأنّ أعداءهم على الباطل، ومَن كان ثابتًا على الحقّ لا يجزع من الموت، ولا يفرّ منه، ولا يهابه.

حوار عليّ الأكبر مع أبيه الحسين عليه السلام

فبينمـا كان الإمام الحسين عليه السلام في طريقـه نحو كربلاء إذ خفق برأسـه خفقة، ثـمّ انتبه وهو يقـول: (إنّا لله وإنّا إليـه راجعون، والحمد لله ربّ العالمـين)، ففعـل ذلك مرّتـين أو ثلاثًا، فأقبل إليـه ابنه عليّ بن الحسين عليهما السلام على فرس، فقال: ممَّ حمدت الله، واسترجعت؟

فقـال: يا بنـي، إنّي خفقت خفقة، فعنّ لي فارسٌ على فرس وهو يقـول: القـوم يسيرون، والمنايـا تسير إليهـم، فعلمت أنّهـا أنفسنا نُعيت إلينا.

فقال له: يا أبتِ لا أراك الله سوءًا، ألسنا على الحقّ؟

قال: بلى، والذي إليه مرجِع العباد.

قال: فإنّنا إذًا لا نبالي أنْ نموت محقّين.

فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله من ولدٍ خير ما جزى ولدًا عن والده)[1].

---

(١) الشيخ المفيد: الإرشاد: ٨٢/٢. تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

هـذا شاهدٌ واحدٌ يبرز لنـا نفسيّة أولاد الحسين عليه السلام، وأهل بيته، وإخوانه ممّن صحبوه؛ كـي يدفعوا عنه كيد الأعداء، ويقوه بأنفسهم من كلّ مكروه، وكان الدّافع لهم هو الإيمان الرّاسخ، والعقيدة الصلبة، وليست العصبيّة والقرابة، إذ لا اعتبار لهما -العصبية، والقرابة - في الإسلام، وتلك هي أقوالهم تدلّ دلالة أكيدة على أنّ الهدف الذي يدعوهم لنصرة الحسين عليه السلام ليس إلّا أحقيّة في الخلافة، والدّفاع عن الدّين.

فهـذا (عليّ الأكبر) حينما بـرز يوم العاشر للقتـال راح يرتجز، ويقول:

أنـا علـيّ بـن الـحسين بـن علـيّ ... نـحـن وبيت الله أولـى بالنّبي
تالله لا يحـكم فيـنـا ابن الدّعـي ... أطعنـكم بالرّمـح حتـى ينثني
أضربكم بالسيف أحمي عـن أبـي ... ضـرب غـلام هاشميٍّ علويّ[1]

فهـو يؤكّـد على أحقيّـة أهل البيـت عليهم السلام في الخلافـة، ورفضه لحكومة يزيد وغيره مـن الأدعياء الذين ليست لهم سابقة، ولا مكانة في الإسـلام، لقـد كان (عليّ الأكـبر) أول مَن خرج مـن أهل البيت عليهم السلام، وقدّمـه الحسـين عليه السلام للمعركة؛ ليكـون القربان الأول الـذي يقدّمه على ساحـة الجهـاد فداء للإسـلام، ولقد كان ذلـك موقفًا مثاليًّـا يُعيد إلى الأذهـان قصّة إبراهيم الخليل عليه السلام مـع ابنه إسماعيل عليه السلام، وهي اليوم تتجدّد في كربلاء بصورة أكثر روعة، وأشدّ إثارة.

---

(١) الشيخ المفيد: الإرشاد: ١٠٦/٢. تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

إنّـك لا تعـرف مقدار هـذه التّضحية التي قدّمهـا الحسين عليه السلام ، إلّا إذا علمـت مكانة (عليّ الأكبر) في نفـس الحسين عليه السلام ، فحينما عزم (عليّ بن الحسين الأكبر) على القتال، وأقبل مستأذنًا من أبيه، نظر إليه الحسين عليه السلام نظر آيسٍ منه، وأرخى عينيه بالدموع محترقًا قلبه، مظهرًا حزنـه إلى الله تعالى، ورفـع شيبته، أو سبابته إلى السّماء وقال: (اللّهمّ، اشهـد على هـؤلاء فقد برز إليهـم أشبه النّاس خَلْقًا، وخُلقًـا، ومنطقًا برسولك محمد صلى الله عليه وآله ، وكنّا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيّك نظرنا إليه، اللّهمّ، امنعهـم بـركات الأرض، وفرّقهـم تفريقًـا، ومزّقهم تمزيقًـا، واجعلهم طرائق قددًا، ولا تُرضي الولاة عنهم أبدًا، فإنّهم دعونا لينصرونا، فعدوا علينا يقاتلوننا)[1].

هـذا مثلٌ واحدٌ من عـدّة أمثال ممّن ضربـوا أروع الأمثلة على صعيد كربلاء في الثّبات على الحقّ، والصمود في وجه الباطل.

مثال الإيثار والتفاني

وثمّـة مثال آخر يتجلّى فيـه الإخلاص التّام، والأخـوّة الإسلاميّة الراسخـة الأصيلـة، والإيمان العميـق، ذلك هو (أبو الفضـل العباس)، والذي كان يمثّل في ذلـك اليوم دور القائد للمعسكر الحسينيّ، والحامي لحرم الحسين عليه السلام ، والساقي الذي يجلب الماء إليهم، وكان موقفه في يوم

(١) السيد محسن الأمين: لواعج الأشجان: ١٦٩. مطبعة العرفان - صيدا، منشورات مكتبة بصيرتي - قم

كربـلاء تجسيدًا للأخوّة الإسلاميّة التـي لم تتزلزل، وتجلّى هذا الموقف حينما بلغ العطش بأهل بيت الحسين مبلغه بعد أنْ مُنع عنهم الماء، وكان هـذا نوعًا من المضايقة والإرهاب الذي مارسـه جيش ابن زياد في حربه للحسـين عليه السلام ؛ لذلك استنجد الحسين عليه السلام بأخيـه العباس؛ ليجلب الماء لهـؤلاء الصبية الصغار، وتتمثّل عند الحشـود المتراصّة، ثمّ يقتحم الماء وعلى القربة ليتّجه بها نحو المخيم - ويبادر الأعداء، وتحاوطوا عليه من كلّ جانب؛ ليصدّوه عن إيصال الماء إلى الحسين عليه السلام .

ولكنّه وبمـا عُرف عنه مـن شجاعةٍ وإقدامٍ يشـنّ عليهم حملاته المعروفـة، ويفرّق صفوفهم ولكنّهم يضايقونـه ويحاصرونه عن أنْ يصل بالمـاء، ويعـاني في سبيل ذلـك مشقّة القتـال، فيكمن له أحـد المرتزقة، فيضربـه بالسيف على يمينه فيقطعهمـا، وفي هذه الحالة ماذا ترى كان يقـول العباس؟ إنّ الأقـوال التي صدرت منـه تكشف عن تلـك النفسيّة الأبيّة، المدافعة عن إسلامها، ودينها، وعقيدتها.

والله إنْ قطعتمـــوا يمينـي إنّي أحامـي أبـدًا عـن دينـي
وعـن إمـامٍ صـــادق اليقـين نجـل النّبـي الطاهـر الأمين[1]

فالعباسـ إنّما يدافـع عن دينه، ذلـك الدّين المتمثِّـل في شخص الإمـام الحسـين عليه السلام الإمـام الحقّ، وهكذا نجـد هذه النفسيّـة العالية تتكـرّر عند العبـاسـ كما وجدناها عنـد عليّ الأكبر ممّا يـدلّ على أنّهم

(١) أبو مخنف الأزدي: مقتل الحسين ص١٧٩/ السيد مرتضى العسكري: معالم المدرستين ج٣ - ص١٢٩.

يعرفــون الهدف والغاية التــي يناضلون من أجلها، إنّهــا العقيدة الحقّة، والشريعــة الصحيحة والتي يحمل لوائها الإمام الحسين عليه السلام، ومن أجل ذلــك لم يكونوا ليعبأوا بالموت كمــا كان يقول عليّ الأكبر (إذًا لا نبالي أنْ نموت محقّين...).

وكذلــك العباســ حينما ضُربت يــده اليُسرى، فــأراد أنْ يعزّي نفسه، ويخفّف من آلامه، فيقول مرتجزًا:

يــا نفــس لا تخشــي من الكفّــار	وأبشــري بــرحمــــــة الــجبّار
مـــع النّبــيّ السيّــد المختـــــار	قــد قــطعــوا ببغيهــم يســاري[1]

وهكــذا تكون العقيــدة، والإيمــان الراسخ، فالسّلام عليــك يا أبا الفضل العباس، أشهد أنّك جاهدت في سبيل اللّه، ونصرت الحسين عليه السلام ابن بنت رســول اللّه صلى الله عليه وآله، وواسيت بنفسك، وبذلت مهجتك، فعليك من اللّه السّلام التّام.

بطل العلقميّ أبو الفضل العباس عليه السلام

مــن صور كربلاء الرائعة موقــف العباس بن علي عليه السلام يوم الطّفّ مــن أخيه الحســين عليه السلام ذلــك الموقف الذي اتصــف بالوفــاء، والأخوّة الصادقة، والتّضحية في سبيل اللّه بنحو أصبح مثلًا أعلى في المواساة.

لقــد ظهرت للعباس عليه السلام في يوم كربــلاء مزايا ومناقب جعلته في عــداد الخالدين من الشهــداء والصدّيقين، منها تكفّلــه بجلب الماء إلى

(١) السيد مرتضى العسكري: معالم المدرستين ج٣ - ص١٢٩.

الحسين عليه السلام ، وأطفاله بعد أنْ مُنع عنهم الماء، فما كان منه إلّا أنْ طلب البِراز والإذن من أخيه الحسين عليه السلام ؛ ليأتي بالماء إلى الأطفال والحرم، وقد استطاع ببطولته الخارقة، وشجاعته الباهرة أن يخترق الصفوف، ويكشف المشرعة من جنود الأعداء الذين أحاطوا بها؛ ليمنعوا وصول الماء إلى الحسين عليه السلام ، وإلى عياله حتى يتمكّن من أنْ يملأ القربة بالماء، ويأتي بها مع بعض أصحابه إلى المخيم.

إذا كان ساقي النّاس في الحشر حيدر ... فساقي عطاشا كربلا أبو الفضل
على أنّ ساقي النّاس في الحشر قلبه ... مريع وهذا بالظّما قلبه يغلي

وثمّة موقف آخر، وهو موقف الدفاع عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعن الحسين عليه السلام ، ولقد جعل نفسه فداءً للحسين عليه السلام ، وأرضعها في سبيل نصرته:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أو تكوني
هذا الحسين وارد المنون ... وتشربين بارد المعين
واللّه ما هذا فِعال ديني ... ولا فِعال صادق اليقين[1]

ورغم تمكنّه في اليوم العاشر من اقتحام المشرعة، وكشف عنها الأعداء، وملأ القِربة ماءً، ثمّ توجّه بها نحو الخيام، إلّا أنّ الأعداء اعترضوه، واحتوشوه من كلّ جانب، ولكنّه لم يأبَه لهم، ولم يعبأ بجموعهم، بل كان كلّ همّه أنْ يوصل الماء إلى الخيام، وهو يقول:

(١) أبو مخنف الأزدي: مقتل الحسين ص١٧٩ - القندوزي: ينابيع المودّة لذوي القربى ج٣، ص٦٧.

لا أرهب الموت إذا الموت رقا حتى أوارى في المصاليت لقا
نفسي لسبط المصطفى الطّهر وقا إنّي أنا العباس أغدو بالسّقا
ولا أخاف الشّر يوم الملتقى[1].

كلّ هذا يظهر لنا بسالته وشجاعته، وتفانيه، وإخلاصه لأخيه الإمام الحسين عليه السلام بما يمثّله من إمامة، ونيابة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، فهو يدافع عنه بهذا الشعور الدّينيّ:

والله إنْ قطعتموا يميني إنّي أحامي أبدًا عن ديني
وعن إمامٍ صادق اليقين نجل النّبيّ الطاهر الأمين[2]

هذه صورة لبطل من أبطال معركة الطّفّ تكون لنا قدوة ومَثَلًا أعلى في الوفاء، والنصرة، والأخوة الصادقة، والإيمان الصلب، ولهذا استحق العباس عليه السلام تلك النّعوت التي أعطاها إيّاه الأئمّة عليهم السلام.

أقوال الأئمّة في العباس عليه السلام

فهذا الإمام السّجاد عليه السلام يقول عنه: (وإنّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشّهداء يوم القيامة)[3].

---

(١) ابن شهر آشوب: مناقب آل ابي طالب ج٣ ص٢٥٦، الشيخ عبدالله البحراني العوالم ص٢٨٣

(٢) أبو مخنف الأزدي: مقتل الحثين ص١٧٩، السيد مرتضى العسكري: معالم المدرستين ج٣، ص١٢٩.

(٣) الصّدوق: الأمالي: ٥٤٨. تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة - قم، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة.

ويقول أيضًا: (رحم الله العباس، فلقد آثر، وأبلى)[1].

ويقول الإمام الصّادق عليه السلام في حقّه: (وأشهد أنّك مضيت على بصيرة من أمرك مقتديًا بالصالحين، ومتّبعًا للنَبيّين، جمع الله بيننا وبينك وبين رسوله وأوليائه في منازل المحسنين، فإنّه أرحم الراحمين)[2].

ويقول أيضًا في وصفه: (كان عمّنا العباس بن عليّ نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام، وأبلى بلاءً حسنًا، ومضى شهيدًا)[3].

نادى وقد ملأ البوادي صيحة ... صمّ الصخور لهولها تتألم
أأخي من يحمي بنات محمّدٍ ... إذ صرنَ يسترحمنَ مَن لا يرحم
ما خلت بعدك أنّ تشلّ سواعدي ... وتكفّ باصرتي وظهري يقصم
لسواك يلطم بالأكف وهذه ... بيض الظبي لك في جبيني تلطم
ما بين مصرعك الفظيع ومصرعي ... إلّا كما أدعوك قبل وتنعم
هذا حسامك من يذل به العدى ... ولواك هذا من به يتقدّم
هونت يا ابن أبي مصارع فتيتي ... والجرح يسكنه الذي هو أألم
فأكبّ منحنيًا عليه ودمعه ... صبغ البسيط كأنّما هو عندم
قد رام يلثمه فلم يرَ موضعًا ... لم يدمه عضّ السلاح فيلثم[4]

(١) الصّدوق: الأمالي: ٥٤٨. تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة – قم الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة.
(٢) الطوسي: مصباح المتهجّد: ٧٢٦. زيارة العباس. مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت – لبنان.
(٣) أبو مخنف الأزدي: مقتل الحسين عليه السلام: ١٧٦. تعليق: حسين الغفاري، مطبعة العلميّة – قم.
(٤) الشيخ حسين آل الشيخ: رياض المدح والرّثاء ٢٣٩: قصيدة السيد جعفر الحلّي.

أشبه الناس خلقًا وخُلقًا برسول الله صلى الله عليه وآله عليّ الأكبر

رابطة البنوّة من الرّوابط النسبيّة الوثيقة إنْ لم تكن أوثقها جميعًا؛ ذلك لأنّ محبّة الأب لابنه لا تعادلها محبّة أخرى؛ لأنّ الابن هو امتداد لأبيه وأمله المُرجّى، وقرّة عينه يرى من خلاله شخصه ومثاله، وهو قطعة منه، كما قال الشاعر:

وإنّما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبّت الرّيح على بعضهم ... لامتنعت عيني من الغمض [1]

ومن هنا نجد أنّ الأب يعتزّ بأبنائه، ويفخر بهم، ويعمل دائمًا على إسعادهم، ويجاهد في سبيل راحتهم، ويكدح من أجلهم، لأنّه يشعر بأنّ جهده غير ضائع فيهم، وتزداد هذه العلاقة وثوقًا ورسوخًا إذا كان الابن صالحًا ومطيعًا وبارًا بأبيه، فإنّ ذلك ممّا يبعث السعادة والسرور في نفس والده، ويجعله ينام قرير العين مرتاح البال، ولقد شهدت واقعة كربلاء صورة رائعة من صور العلاقة بين الابن وأبيه، بين ابن بار مطيع وأبٍ مشفق حنون على ابنه، بين الإمام الحسين عليه السلام وابنه علي الأكبر، وهو أكبر ولده ولقد كان عزيزًا عند الحسين عليه السلام لما اتصف به من صفات الكمال والتي استحقّ بها مدح الشعراء:

لم ترَ عينٌ نظرت مثله ... من محتفٍ يمشي ومن ناعل
يغلي نئي اللحم حتى إذا ... انضج لم يغل على الآكل

---

(١) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ج١٦، ص٦١.

كان إذا شبت له ناره ... أوقدها بالشرف القابل
كيما يراها بائس مرمّل ... أو فرد حيّ ليس بالآهل
أعني ابن ليلى ذا السدى الندى ... أعني ابن بنت الحسب الفاضل
لا يؤثر الدنيا على دينه ... ولا يبيع الحقّ بالباطل[1]

من أجل هذا كان الإمام الحسين عليه السلام يصفه بأنّه من أشبه الناس خَلقًا وخُلقًا ومنطقًا برسول الله صلى الله عليه وآله، قال ذلك حينما برز إلى القوم؛ ليقاتلهم وقد رفع الإمام الحسين عليه السلام يده إلى السّماء يدعو على الأعداء: (اللهمّ، اشهد على هؤلاء، فقد برز إليهم أشبه الناس خَلقا، وخُلقا، ومنطقًا برسولك محمد صلى الله عليه وآله، وكنّا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيّك نظرنا إليه. اللهمّ، امنعهم بركات الأرض، وفرّقهم تفريقًا، ومزّقهم تمزيقًا، واجعلهم طرائق قِددًا، ولا ترضِ الولاة عنهم أبدًا، فإنّهم دعونا لينصرونا، فعدوا علينا يقاتلوننا)، ثمّ تلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

ولقد استبسل في قتاله يوم عاشوراء قتال الأبطال، وأعاد للقوم ذكريات شجاعة عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، وفروسيّته ممّا شهد بذلك كلّ مَن كتب عنه، ولا بدع في ذلك، ولا غرابة إذ تصدّر هذه الملاحم منه، فهو كما قال عنه الشاعر:

---

(١) أبو مخنف الأزدي: مقتل الحسين ص١٦١ - ابن عساكر: ترجمة الإمام الحسين ٢١٢.
(٢) السيد محسن الأمين: لواعج الأشجان ١٦٩، السيد شرف الدين: المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة، ص٢٦٤.

ورث الصفـات الغـرّ فهـي تراثـه عـن كلّ غطريـف وشهـم أصيـد
في بأس حمـزة في شجاعة حيدر بـأبـي الحسين وفي مهابة أحمد
وتـراه في خلـق وطيـب خلائـق وبليـغ نطـق كالنّبـيّ محمـد[1]

ولقد قاتل عليّ الأكبر دفاعًا عن مبدئه وعقيدته قتال مَن لا يخاف الموت، وهو واثق من أحقيّة دعوته ورسالته، يبرز ذلك لنا مقولته المشهورة لأبيه حينما كانوا في الطريق، إذ بينما الإمام الحسين عليه السلام يسير إذ غفت عينه، قال عقبة بن سمعان: فسرنا معه ساعة فخفق عليه السلام برأسه خفقة، ثـمّ انتبه وهو يقول: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين)، ففعـل ذلـك مرّتين أو ثلاثًا، فأقبل إليه ابنـه عليّ بن الحسين عليهما السلام على فرس، فقال: ممَّ حمدتَ الله، واسترجعت؟

فقـال: يـا بني، إنّي خفقت خفقة، فعـنّ لي فارس على فرس وهو يقـول: القـوم يسيرون، والمنايـا تسير إليهـم، فعلمت أنّهـا أنفسنا نعيت إلينا.

فقال له: يا أبتِ لا أراك الله سوءًا، ألسنا على الحقّ؟

قال: بلى، والذي إليه مرجع العباد.

قال: فإنّنا إذًا لا نبالي أنْ نموت محقّين.

فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدًا عن والده)[2].

---

(١) الحاج حسين الشاكري، شهداء أهل البيت عليهم السلام قمر بني هاشم ص١٢١

(٢) الشيـخ المفيـد: الإرشـاد: ٨٢/٢. تحقيق: مؤسّسة آل البيـت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

ولقد ترجم صِدق مقالته هذه يوم العاشر حينما بارز وهو يرتجز، ويقول:

أنـا علـيّ بن الحسين بن علـي نحـن وربّ البيـت أولى بالنبيّ
تالله لا يحـكم فينا ابن الدّعـي أطعنكـم بالـرّمح حتى ينثني
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي ضـرب غـلامٍ هاشميٍّ علوي[1]

إلى أن قُتل ممّا أثر مقتله على أبيه عليه السلام، فأتاه الحسين عليه السلام وانكبّ عليه واضعًا خدّه على خدّه، وهو يقول: (قتل الله قومًا قتلوك يا بني، ما أجرأهم على الرّحمن، وعلى انتهاك حرمة الرّسول! وانهملت عيناه بالدّموع، ثمّ قال: على الدنيا بعدك العفا)[2].

بنـي اقتطعتك مـن مهجتي عـلام قطعت جميل الوصال
بنـي عـراك خسوف الـرّدى وشـأن الخسوف قبيل الكمال
بنـي حـرام علـيَّ الرّقـاد وأنـت عفـير بحـرّ الرّمـال
بنـي أبيت سـوى القاصـرات وخلّفت عنـدي سمـر العوالي
بنـي بكتـك عيـون الرّجـال ليـوم النـزيل ويوم النـزال
بكتـك بنـي صفات الكمـال وغضّ الشبـاب وذات الجمـال
عجلـت لحوض أبيـك النّبـيّ وسارعـت بعـد الظّمـا للـزلال
سيرثـك منّـي لسـان السّنـان بنـظم قـلوب عيـون الرّجـال

---

(١) السيد محسن الأمين: لواعج الأشجان ١٧٠، أبو مخنف الأزدي: مقتل الحسين ١٦٢.
(٢) الشيخ المفيد: الإرشاد: ٢/١٠٦. تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

فقيه أهل البيت حبيب بن مظاهر

إنّ التأريخ ليسجّل بفخر واعتزاز ذلك الموقف البطولي الرائع الذي قلّ بل انعدم نظيره على امتداد التأريخ حيث إنّ أفرادًا يعلمون بمصيرهم ونهايتهم، وهم يعيشون آخر ساعات الحياة، وهم مع ذلك لا يأبهون بالموت ولا يعبأون به، بل هم على العكس من ذلك مسرورون فرحون، وليس الحال في هذا اقتصر على مَن هو القمّة العليا في الإيمان بالله والعصمة كالإمام الحسين عليه السلام، بل إنّ ذلك كان شأن أصحابه، وأهل بيته عليهم السلام.

ففي الخبر أنّ بريرًا وهو من أنصار الحسين عليه السلام مازح عبد الرحمن الأنصاري، فأنكر عليه عبد الرّحمن قائلًا: ما هذه ساعة باطل؟

فقال برير: لقد علم قومي أنّني ما أحببت الباطل كهلًا ولا شابًّا، وإنّما أفعل ذلك استبشارًا بما نصير إليه، فوالله ما هو إلّا أنْ نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم ساعة، ثمّ نعانق الحور العين[1].

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك، فقال له يزيد يا بن الحصين الهمداني: ما هذه ساعة ضحك، فقال حبيب: وأيّ موضعٍ أحقُّ بالسّرور من هذا الموضع؟!، والله ما هو إلّا أنْ يقبل علينا هؤلاء القوم بسيوفهم،

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ١/٤٥. الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت – لبنان.

فنعانق الحور العين [1].

إنّ هـذه التصرّفات الصادرة منهم تكشـف لنا كيف واجه هؤلاء الأبطال الموت وهم في ساعاتهم الأخيرة في مثل ليلة العاشر، وهم يعلمون بدنو آجالهم، فإنّ ذلك يعني أكبر امتحان لهم واختبار على صدق نيّتهم، وثباتهـم، وقوّة عزيمتهـم في الوقوف إلى جانب الحسـين عليه السلام، والدّفاع عنـه وعن عقيدتهم، حيث يبدون غـير مبالين بما سيجري عليهم ما دام ذلك في سبيل الله تعالى، وفي نصرة ابن بنت رسوله صلى الله عليه وآله.

ليلة العبادة والدّعاء

وثمّـة مظهـر آخر من مظاهر هـذه الليلة، فقد كانـت ليلة عبادةٍ ودعـاءٍ وتلاوة للقـرآن، نعم حوّلوا هـذه الليلة إلى ليلة إحيـاءٍ ومناجاة، وكأنّ العبـادة وهـي كذلك زادهم الـذي يتزوّدون به لمواجهـة الأعداء لما تقوم به العبادة من أثر في تجلية النفس الإنسانيّة، وتصفيتها من صفات الضّعـف والخور والكسل، فهذه العبـادة التي قاموا بها ليلة العاشر كانت بمثابـة القوة التي تـزوّدوا بها، والـدّرع الذي تحصّنوا به، وقـد ورد: أنّ

(١) الطبرسي: تفسير جوامع الجامع: ١/ ١٣٠.تحقيق: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

- أبو القاسم حبيب بن مظهر أو مظاهر بن رئاب ابن الأشتر الأسدي الكندي ثمّ الفقعسي. وكان ذا جمال وكمال، وفي وقعة كربلاء كان عمره ٧٥ سنة، وكان يحفظ القرآن كلّه، ويختمه في كلّ ليلة من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر، قال أهل السِيَر: إنّ حبيبًا نزل الكوفة وصحب عليًا (عليه السلام) في حروبه كلّها، وكان من خاصّته وحملة علومه، استشهد مع الحسين (عليه السلام) في كربلاء سنة ٦١ هـ . (أعيان الشيعة: ج ٤ ص ٥٥٤).

الحسين عليه السلام بات مع أصحابه تلك الليلة ولهم دويّ كدويّ النحل ما بين قائمٍ وقاعدٍ وراكعٍ وساجد[1].

وتقول فاطمة بنت الحسين عليهما السلام : وأمّا عمّتي زينب عليها السلام ، فإنّها لم تزل قائمة في تلك الليلة - أي العاشرة من المحرم - في محرابها تستغيث إلى ربّها، فما هدأت لنا عين، ولا سكنت لنا رنّة[2].

ليلة الرّحيل

ومن أجل تهيئة العائلة، وأهل بيته، وأصحابه إلى ما سوف ما ينزل بهم في مثل يوم غد كان الإمام الحسين عليه السلام يلمح إلى ذلك، يقول عليّ بن الحسين عليه السلام سمعت أبي في الليلة التي قُتل في صبيحتها يقول وهو يصلح سيفه:

يا دهر أفٍّ لك من خليل ... كم لك في الإشراق والأصيل
من صاحبٍ وماجدٍ قتيل ... والدّهر لا يقنع بالبديل
والأمر في ذاك إلى الجليل ... وكلّ حيٍّ سالك السبيل

فأعادها مرّتين، أو ثلاثًا، ففهمتها، وعرفت ما أراد، وخنقتني العبرة، ولزمت السّكوت، وعلمت أنّ البلاء قد نزل، وأمّا عمّتي زينب عليها السلام لمّا سمعت ذلك وثبت تجرّ ذيلها حتى انتهت إليه، وقالت: (واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمّي فاطمة، وأبي عليّ، وأخي الحسن،

---

(١) ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٧، الطبعة: الأولى، أنوار الهدى، قم - ايران.
(٢) زينب الكبرى للنقدي : ص ٨١ - ٨٢ .

يـا خليفة الماضـين، وثمال الباقـين)، فعزّاها الحسـين عليه السلام، وصبّرها، وفيما قال: (يـا أختاه، تعزَّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأهل السّماء لا يبقون، وكلّ شيئ هالكٌ إلّا وجهه، ولي ولكلّ مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أسـوةٌ حسنة..)، فقالـت عليها السلام: (أفتغتصب نفسك اغتصابًا، فذاك أقرح لقلبي، وأشدّ على نفسي)[1].

لقـد أقـدَم الحسين عليه السلام، وأصحابه على القتـال في يوم عاشوراء ونفوسهم مليئة بذكر الله (أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[2].

وسامته أنْ ينقاد للسّلـــم ضارعًا ... لـــديها ويأبى العزّ أنْ يضرع الحر
فقال ردّي يا نفس من سورة الـرّدى ... نـدّ ورود الضـيّـــم يستعذب المر
وحفـت بـه من آلـه خـير فتيـــة ... هـــا ينتمـي المـــجد المؤثل والفخر
إهمت سارت في دحى الليل ازدهرت ... وبـاهت سوارى النجم أوجهها الزّهر
بـكلّ كمـي فـوق أجـرد سابـــح ... بـــه فـــي مشيـه الـدل والكـبر
إذا خـفّ في الهيجـاء وقرّ يمينـه ... بنجـدة بـــأس فكأنّما أنزله ظهر
ويلطم خدّ الأرض لكن وجهـــها ... ينـــضح دم الأعـداء لا اللّطم يحمر
هم القوم من عليا لـوى وغـــالب ... بهـم تكـشف الجلي ويستدفع الضرّ
يحبـون هنـدى السيـوف بأوجـه ... تهلّـل مـــن لثـلاء طـلقها النشر
يلقـون آحـاد الألـوف بمثلهـــا ... إذا حـــلّ مـن معقود رايتـها نشر

---

(١) أبو الفرج الأصفهانى: مقاتل الطالبيين: ٧٥. تحقيق: تقديم وإشراف: كاظم المظفر، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف.
(٢) الرعد: ٢٨.

بيـوم بـه وجـه المـــغول مقطـّب وجـــــد المواضي باسم الثغر تعتز
إذا اسودّ يوم النقع أشرقن إليـهـا لــهم أوجــه والشوس ألوانها خضر
وما وقفوا في الحـرب إلّا ليصبــروا إلـــى المـوت والخطّي من دونه جسر
يكرّون والأبطال نكصًا تقـاعسـت مــن الخـــوف والآساد شيمتها الكر
إلى أنْ ثووا تحت العِجاج بمعـــرك هــو الحشر لا بل دونه فوقه الحشر [1]

(١) الشيخ حسين آل الشيخ سليمان: رياض المدح والرّثاء ١١١.

الملحمة الخالدة

يقف التأريخ اليوم وقفةً طويلةً ليسجّل أعظم مشهدٍ شهده التأريخ البشريّ في الصبر، والشجاعة، والإقدام، والإيمان الصّادق، وأنّ اللسان ليعجز عن وصف ما حدث في ذلك اليوم من ملاحم بطوليّة رائعة تمثّلت فيها الشّهامة، والأنفة، والإباء، والصّمود في وجه الطغيان.

وإنّ القلم ليكلّ عن تسجيل أحداث ذلك اليوم، وما اشتملت عليه من بسالةٍ، وإقدامٍ، وإخلاصٍ من جانب أنصار الحقّ والإسلام يقابله لؤم، ودناءة، وخسّة، ووحشيّة من جانب أولئك الذين باعوا نفوسهم، وضمائرهم بأبخس الأثمان في طاعة الطاغي، ونصرة الظّلم.

نعم إنّ الحسين عليه السلام وآله وأصحابه، وقفوا يوم الطّفّ موقفًا سجّله لهم التأريخ بأحرفٍ من نور، وخلّده لهم الدّهر بفخرٍ وإكبارٍ حيث كان ذلك الموقف موقفًا مبدئيًّا، والمبادئ الحقّة تبقى ولا تموت، فذكرى الحسين عليه السلام، وأصحابه باقية ببقاء تلك المبادئ الإنسانيّة والتي لا تصلح البشريّة من دونها.

حقًا إنّه موقف اتّسم بكلّ مظاهر الأسى والحزن واللّوعة لما ارتكبه أولئك الطّغاة في حقّ عترة المصطفى صلى الله عليه وآله من قتل، ومنع الماء، وسبي للنساء، وحرقٍ للخيام، فقد كانت مجزرة رهيبة لآل بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله الذين أمروا بطاعتهم، وجعلت زينب ابنة عليّ عليها السلام تحدّ النّظر في

جسم أخيها الحسين عليه السلام وهي تنادي بصوتٍ حزين، وقلبٍ كئيب: (يا محمّداه، صلّى عليك مليك السّماء هذا حسينك مرمّلٌ بالدّماء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا إلى الله المشتكى، وإلى محمّد المصطفى، وإلى عليّ المرتضى، وإلى فاطمة الزّهراء، وإلى حمزة سيّد الشهداء، يا محمّداه، هذا حسينٌ بالعرى تسفى عليه ريح الصبا، قتيل أولاد البغايا، وا حزناه، وا كرباه عليك يا أبا عبد الله اليوم مات جدّي رسول الله، يا أصحاب محمّدٍ هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السباي).

وفي بعض الرّوايات: (وامحمّداه، بناتك سبايا، وذرّيتك مقتلة تسفي عليهم ريح الصبا وهذا حسينٌ محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرّدي، بأبي من أضحى عسكره في يوم الاثنين نهبًا، بأبي من فسطاطه مقطّع العرى، بأبي من لا غائب فيرتجى، ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفدى، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي مَن شيبته تقطر بالدّما، بأبي من جدّه رسول إله السّما، بأبي مَن هو سبط نبيّ الهدي، بأبي محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، بأبي خديجة الكبرى، بأبي عليّ المرتضى، بأبي فاطمة الزّهراء، بأبي مَن رُدّت له الشّمس حتى صلى...)[1].

لله صبر زينب العقيلة ... كم صابرت مصائب مهولة
رأت من الخطوب والرّزايا ... أمرًا تهون دونه المنايا
رأت كرام قومها الأماجد ... مجزّرين في صعيد واحد

(١) السيد محسن الأمين: لواعج الأشجان: ١٩٧. مطبعة العرفان - صيدا، منشورات مكتبة بصيرتي - قم

تسفي على جسومها الرياح ... وهي لذؤبان الفلا تباح
رأت عزيز قومها صريعًا ... قد وزعوه بالظّبى توزيعًا
رأت رؤوسًا بالقنا تشال ... وجثثا أكفانها الرّمال
رأت رضيعًا بالسّهام يُفطم ... وصبيةً بعد أبيهم أيتموا
رأت شماتة العدو فيها ... وصنعه ما شاء في أخيها[1]

(١) المقبولة الحسينيّة: ص٦١، للحجّة آية الله هادي كاشف الغطاء (قده).

سبايا إلى الكوفة

كشفت الثورة الحسينيّة عن الحالة النفسيّة التي كان يعيشها أهل الكوفة، والتي يمكن أنْ يُقال في حقّها أنّها نوعٌ من الازدواجيّة الشخصيّة، أو الانتهازيّة والتي لازمتهم وأصبحت صفة لهم، فأهل الكوفة بالرّغم من أنّهم محسوبون على أنّهم من شيعة أهل البيت عليهم السلام ومحبّيهم، إلّا أنّ تصرّفاتهم، ومواقفهم كانت على النقيض من ذلك، فإنّهم معروفون بتقلّب الآراء، وضعف الإيمان، ولذلك كان النّاس يخشون منهم، ولا يثقون بهم، وقد جاءت ثورة الحسين عليه السلام ؛ لتكشف عن حقيقتهم، فهم حينما أعطوا البيعة للحسين عليه السلام بواسطة ابن عمّه مسلم، وأعلنوا ولاءهم له، انقلبوا على أمرهم بمجرّد أنْ برز بين ظهورهم ابن زياد بطغيانه واستبداده وجبروته تحوّلوا من محبّين إلى محاربين يحملون السّلاح، ويتوجّهون إلى حرب الحسين عليه السلام وقتاله؛ لنيل الجوائز التي وعدهم بها ابن زياد، وما اكتفوا بما فعلوه من جرائم بشعة يندى لها الجبين، وما لحقهم من عار وخزي حتى أدخلوا حرم الحسين عليه السلام ، وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله مقيّدين بالأغلال سبايا إلى الكوفة، وتخرج الكوفة بالفرح والسرور؛ لتستقبل المنتصرين من أبنائها ومع الغنائم والسبايا، ويهرع النّاس إلى الطّرقات، وفي ظنّ الكثيرين منهم أنّهم من الخوارج حقيقة ممّن تمكّن منهم المسلمون وانتصروا عليهم، ولم تكن تلك النّسوة والصبية من أبناء الكوفة ممّن خرج للفرحة يتوهّم بأنّهم

مـن آل رسول الله ﷺ الذين قتلهـم رجال الكوفة، وسبوا نساءهم، وقد ذهلـت تلك المرأة الكوفيّة وهي تقترب من إحدى السبايا، فتسألها قائلة: من أيّ الأسارى أنتِ؟، فأجابت: نحن أسارى أهل البيت!

ولمّـا سمعت بذلك المرأة صرخت، وصرخـت النّسوة اللاتي معها، ودوّى صراخهـنّ في أرجاء الكوفة، وبـادرت فجمعت ما في بيتها من أرز، ومقانع، فجعلت تناولها إلى العلويّات؛ لتتسترنَ بها عن أعين النّاس؛ لكي يعـرف إلى أيّ مدى وصل إليـه أولئك الذين نزعت مـن قلوبهم الرّحمة والإنسانيّـة وهـم يصنعـون هذا الصنيـع في أهل بيـت الرّسالة من دون خـوفٍ من الله، ولا رادع مـن ضمير، ولكنّها القلوب الخاوية من الإيمان، والنّفوس الدنيئة المنحطّة إلى درك الرّذيلة لا تتورّع عن ارتكاب مثل تلك الآثـام، وتلك طبيعـة كلّ شعبٍ فقد الكرامة والعـزّة حينما يتنكر لمبادئه وقيمه، فإنّه يسهل عليه أنْ يأتي بكلّ فعلٍ قبيحٍ بعيد عن كلّ معاني الشّرف والفضيلة.

لقـد بلغ من قسوة أولئـك الجند المحاربين لله تعـالى أنّهم منعوا عـن تلك النسوة والأطفال الأكل والشّـراب ممّا اضّطرهم الحال إلى أنْ يمـدّ الأطفال أيديهم لتلك المـرأة التي جاءت بطعامٍ وتمر، وأخذت تلقيه على الصبية التي أضناهم الجوع، ولكنّ الإباء الهاشميّ والشّرف العلويّ يأبـى أنْ يمـدّ أولئـك الأطفال يد الاستعطـاف والمذلّـة والمسكنة لأولئك اللّئام الذين ساهموا بشكلٍ أو بآخر في ما جرى وحلّ عليهم من مصائب ونوائـب (فتنادي أم كلثوم من خلف الرّكب: إنّ الصدقة حرامٌ علينا أهل

البيت، ولمّا سمعت الصبية مقالة العقيلة رمى كلّ واحدٍ منهم ما في يده أو فمه من الطّعام وراح يقول لصاحبه: إنّ عمتي تقول: إنّ الصدقة حرامٌ علينا أهل البيت..).

وقد أصيبت الجموع الحاشدة التي وقفت على مشارف الطّرق؛ لتتفرّج على هذا الرّكب بالدّهشة والذّهول حينما وقفت السيدة زينب عليها السلام واندفعت للخطابة، وبلورة الموقف، وإظهار المصيبة الكبرى التي جرت على أهل البيت عليهم السلام، وتحميل الكوفيين مسؤوليّة هذه الجريمة النّكراء، فهم الذين نقضوا العهد، وخاسوا بالذمة، فقتلوا ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ عادوا بعد قتله ينوحون ويبكون كأنّهم لم يقترفوا هذا الإثم العظيم!

وجاء في خطابها الشهير: (ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أيّ كبدٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله فريتم؟، وأيّ دمٍ له سفكتم؟، وأيّ كريمةٍ له أبرزتم؟، وأيّ حريمٍ له أصبتم؟، وأيّ حرمةٍ له انتهكتم؟، لقد جئتم شيئًا إدًّا تكاد السموات يتفطّرنَ منه، وتنشقّ الأرض، وتخرّ الجبال هدًّا)[1].

وقد كان لهذا الخطاب صدى واسع بين صفوف الكوفيين لما تضمّنه من كشفٍ واضحٍ لأكاذيب الأمويّين، وافتراءاتهم، ومن تقريعٍ ونقدٍ لاذعٍ لخذلان أهل الكوفة وغدرهم بالحسين عليه السلام، وأنّ بكاءهم لا ينبغي أنْ ينطلي خداعه عليهم بعد هذا العمل الشنيع الذي ارتكبوه.

---

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم: موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام: ٢/٣٣٨. المطبعة: اعتماد - قم الناشر: انتشارات نور السّجاد.

ولم يقتصر الحال على السيدة زينب عليها السلام ، بل شاركنَها -في مواقفها التي اتّصفت بالتأنيب، والعتاب الشديد، والتنديد بالسلطة الغاشمة -عديد من نساء أهل البيت، فكانت منهنّ السيدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام ، والتي فضحت في خطبتها البليغة الأساليب التي تستّر من وراءها الأمويّون؛ لتشويه سمعة أهل البيت عليهم السلام ، وبيّنت أحقيّة أولئك الأئمّة الأطهار عليهم السلام في ولاية أمر المسلمين، وندّدت بالأفعال الشنيعة التي واجههم بها أهل الكوفة، وأنذرت بما سيحلّ عليهم من العقاب والخزي والعار.

وكان للسيدة أم كلثوم موقفٌ مماثل حيث قالت في خطبتها: (صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم؟!، فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء)[1]، وقد اضطرب المجتمع من تلك الخطب، فنشرت النساء شعورهنّ، ولطمنَ الخدود، فلم يُر أكثر باكٍ ولا باكية مثل ذلك اليوم.

أمّا الإمام العليل، المقيّد بالحديد والأغلال الإمام زين العابدين عليه السلام ، فإنّه أيضًا انتهز هذه الفرصة؛ ليعرّف النّاس بنفسه، ويذكّرهم بما فعلوه مع أبيه الحسين عليه السلام من الخذلان والغدر، ويقول في خطابه: (بأيّة عينٍ تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم مِن أمّتي؟، قال: فارتفعت أصوات

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ١١٥/٤٥. الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان.

الناس من كلّ ناحية، ويقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون؟)[1].

لقد كان دخول السبايا إلى الكوفة بتلك الحالة مناسبة تمكّن هؤلاء من أنْ يفضحوا تلك الطغمة الفاسدة، وينـدّدوا بتلك الجموع المحتشدة التي لم تُراعِ ذمّةً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يلتزموا بحكم الله وشريعته، ولم يتّصفوا بالصفات الإنسانيّة.

يا أمّة السوء لا سقيًا لربعكم ... يـا أمّـةً لم تـراعِ جدّنـا فينـا
لـو أنّنـا ورسـول الله يجمعنا ... يـوم القيامة ما كنتـم تقولونا
تسيرونـا على الأقتـاب عارية ... كأنّنـا لم نشيّـد فيكـم دينـا

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ١١٣/٤٥. الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت – لبنان.

تتجدّد المصائب

ما إنْ يهلّ هلال شهر محرم من كلّ عام إلّا وتجد الشيعة في مختلف أصقاعها تستعدّ لهذه الأيام العشرة الأولى منه استعدادًا كبيرًا، وتعطي ذلك اهتمامها الكبير، وعنايتها التّامة، وتبذل في سبيل الله تعالى تلك الأموال الطائلة.

وتمرّ السنون والأعوام والشيعة -كلّ الشيعة- يدأبون، ويحرصون على إحياء ذكرى الحسين عليه السلام في أيام عاشوراء.

والشيعة بالرّغم من تاريخهم المليئ بالمآسي، والحافل بالتّضحيات الجسيمة، والذكريات المؤلمة إلّا أنّ ذكرى عاشوراء تستأثر بالمزيد من اهتماماتهم، وتكون جزءًا من هويّتهم، وطابعهم الدينيّ.

وقد يتساءل الفرد عن المغزى والسرّ في كلّ هذا الاهتمام، وهذا التّفاني والحرص على إقامة هذه الشعائر من كلّ عامٍ، وتجنيد كافّة الطاقات من أجل هذه المناسبة!!

إنّ المرء ليبحث عن ذلك بالبحث عن ماهيّة هذه الذكرى، وعن أسبابها، وعن أهمّيتها وما قدّمته من مكاسب للإسلام والمسلمين استحقت أنْ تنال منهم مثل هذا الاهتمام المتزايد.

إنّ ذكرى الحسين عليه السلام تبعث في نفوس المؤمنين روح الإيمان الصّادق، وتحيي في نفوسهم حبّ التضحية والفداء، وتعيد لهم دروسًا

في الثبات على المبدأ، والإصرار على الالتزام بأحكام الإسلام وتعاليمه، وعدم التفريط فيها.

وإنّ الإنسان المسلم حينما يعرف أنّ السبب الذي دعا الإمام الحسين عليه السلام إلى رفض البيعة ليزيد يدرك أنّ ذلك الرّفض لم يكن مجرّد معارضة شخصيّة، وإنّما كان موقفًا شجاعًا في وجه المنكر، ومجابهةً علنيةً لكلّ انحراف حتى ولو كان من قبل رأس السلطة، ذلك لأنّ ولاية أمر المسلمين منصبٌ خطيرٌ يفترض في الشخص الذي يتولّاه:

أنْ يكون بمستوى المسؤوليّة.

إذ المطلوب منه وهو الحاكم، وهو ولي الأمر:

- أنْ يحكم بما أنزل الله تعالى، ويطبّق ما جاء في كتاب الله تعالى، وفي سنّة رسوله صلى الله عليه وآله.
- وأنْ يتحلّى بسيماء الصالحين.
- وأنْ يتخلّق بالأخلاق الإسلاميّة.

أمّا إذا كان المتولّي لأمر الأمّة مَن كان على شاكلة يزيد بن معاوية، فإنّ الحسين عليه السلام، ومَن اختط خطّ الحسين عليه السلام، وسار على نهج الحسين عليه السلام - الذي هو نهج رسول الله صلى الله عليه وآله -، فإنّه لا يرضى بذلك، ولا يكتفي بالمعارضة الكلاميّة، والانزواء بين الجدران، بل لا بدّ وأنْ يسجّل موقفًا في مواجهة هذا الظالم الغاشم المتسلّط على رقاب المسلمين.

يبقى هذا الموقف علامة بارزة على مدى العصور والأعوام تحذِّر المنحرفين من الحكّام، والمستبدّين من الطّغاة حتى لا يستهينوا بالقيم، والمبادئ الإسلاميّة التي جاء من أجلها النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، فالنّبيّ صلى الله عليه وآله حينما صدع بالرّسالة، وتحمّل المتاعب والآلام في سبيل أنْ يبلغ رسالة الله تعالى إلى النّاس لم يكن ليقبل إطلاقًا أنْ تعود الأمّة إلى جاهليّتها الأولى، وإنّما احتاط لنفسه ولشريعته، وبأمر من ربّه عيّن من اختاره الله تعالى إمامًا لهذه الأمّة، وقائدًا كفوءًا؛ ليقوم بمهمّة الخلافة بعده خيرَ قيام، ويكون امتدادًا لوجوده الشريف حِفاظًا على هذا الدّين الحنيف من أنْ يتعرّض للتزييف والتّحريف، وقد قال، وبلَّغ، وعيَّن مَن اختاره الله تعالى للولاية الحقّة، ولكنّ كلماته الشريفة، وإرشاداته، وتنبيهاته راحت أدراج الرّياح، ولم تجدْ غير آذان صمّاء لم تسمع الأمر، ولم تدرك خطورته.

ولذلك أعرضوا عن صاحب الولاية، وأزاحوه عن مركزه، فكان بداية الانقلاب الذي أخبره القرآن الكريم عنه بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

ومع كلّ ما حدث، فإنّ ولي الأمر الحقيقيّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله آثر السكوت على المطالبة بحقّه الضائع حِفاظًا على كيان هذه الدولة الفتية، واكتفاءً بإبداء النصيحة، والإرشاد، والتوجيه للمتولّين الذين عرفوا

(١) آل عمران: ١٤٤.

مكانتـه، ولم يستغنوا عـن خبرته، فكانوا بحاجةٍ ماسّـة إليه يستشيرونه فيمـا يواجههم من مشـكلات، ويعترضهم من معضـلات، حتى قال فيه عُمـر: (لولا علـيّ لهلك عمـر)[1]، (لا أبقـاني الله لمعضلةٍ ليـس لها أبو الحسـن)[2]، وقال: (قضية ولا أبو الحسن لها)[3]، وقال: (لا يفتين أحدٌ في المسجد وعليّ حاضر)[4] كلّ ذلك اعترافًا منهم بفضله.

وكان ممّـا ألـحّ عليه بالسكـوت إدراكًا منـه عليه السلام لخطورة الأمر، وأنّ الوقـت لا يسمح له بأنْ يثير موضـوع الخلافة، وأنّ الأمر سيؤول إليه آجـلًا أم عاجلًا، وكان ما توقّعه عليه السلام حينمـا استلم أمر الأمّة، وأقام في النّاس حكـم رسـول الله صلى الله عليه وآله إلّا أنّ تلك النفوس التـي تربّت على عهد رسـول الله صلى الله عليه وآله، وانقادت لتعاليـم الإسلام قد تغيّرت بمـرور السنين، واختـلاف النّهج، وفسـاد الضّمائر، فتمرَّدت بفعـل الأطماع على القائد الإلهـيّ، وواجهته بالمشـاكل والمتاعب حتى بقي غريبًـا، بل حتى لقي الله صريعًا في محراب صلاته.

---

(١) القاضي المغربي: دعائم الإسلام: ٢/ ٤٥٣، ح ١٥٨٤. تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف – القاهرة، ومؤسّسة آل البيت ٢ .

(٢) الطبري (الشيعي): دلائل الإمامة: ٢١، ح٣. تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة – مؤسّسة البعثة – قم، الطبعة: الأولى، مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة.

(٣) الأمين: أعيان الشيعة: ٤٢٦/١. تحقيق وتخريج : حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٨/١. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

الأمر الذي يجده مَن كان بالأمس عدوًّا للإسلام فرصته الذهبيّة؛ ليتحكّم في رقاب المسلمين، بل ولم يكتفِ بذلك حتى كشف عن نواياه الخبيثة بتولية ابنه بعده خلافة الأمّة الإسلاميّة، وكان هذا في ذاته استباحة لحرم المبادئ الإسلاميّة، وضربة قاصمة لظهر الإسلام، الأمر الذي لم يكن بوسع الحسين عليه السلام الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله: (حسينٌ منّي وأنا من حسين)[1] أنْ يسكت، أو يتغاضى عنه، فكانت قولته الصريحة التي بقيت خالدة مع الزمن: (إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرّسالة، ومختلف الملائكة بنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النّفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله)[2].

(١) الإمام احمد بن حنبل: مسند احمد: ٤/ ١٧٢. الناشر: دار صادر، بيروت – لبنان.

(٢) ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف: ١٧، الطبعة: الأولى، أنوار الهدى، قم – ايران.

إقامة الشعائر الحسينيّة

ترتبط إقامة الشّعائر الحسينيّة برباط المودّة والولاء لأهل البيت عليهم السلام الذين أمر الله بطاعتهم، ومحبّتهم، وولايتهم، فإنّ الطاعة، والمحبّة، والموالاة يمكن ترجمتها، وتجسيدها عبر هذه الشعائر التي اتّسمت بالحزن والندب، والمواساة للرسول صلى الله عليه وآله، ولعليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام في مصابهم بمقتل سبط الرسول صلى الله عليه وآله، وشبل الوصيّ عليه السلام، وابن الصدّيقة عليها السلام.

والشيعة اقتداءً بأئمّتهم عليهم السلام، ومتابعةً لسادتهم يقيمون العزاء، وينصبون المآتم، ويجدّدون الأحزان في كلّ عام تقرّبًا لله تعالى بمودة أهل البيت عليهم السلام الذين قال الله سبحانه فيهم: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1]، وهو أيضًا نصرةً للحقّ المهضوم، وتلبيةً لنداء الحسين عليه السلام الذي أعلنه وهو في ساحة القتال وحيدًا بين الأعداء: (أما من ناصرٍ ينصرني)، فيكون جواب هذا النداء من شيعته ومحبّيه في كلّ زمانٍ ومكان: (إنْ كان لم يجبك بدني عند استغاثتك، ولساني عند استنصارك، فقد أجابك قلبي، وسمعي، وبصري)[2].

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الشهيد الأول: المزار: ١٤٤. تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام الطبعة: الأولى، المطبعة: أمير - قم، مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة.

إنّ تحقيق النّصرة للحسين عليه السلام لا يكون إلّا بالسير على مبادئ الحسين عليه السلام، وتمثّل تعاليمه التي آمن بها، وجاهد في سبيل تحقيقها، وبذل دمه من أجلها.

إنّ الحسين عليه السلام لم يعرف الهزيمة أبدًا، ولم يدع لروح الانكسار، والضّعف أنْ تسري إلى نفسه الأبيّة، بل كانت أقواله، وأفعاله تجسّد مبدأ الرّفض، والصّمود، والإصرار، والثّبات: (لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذّليل، ولا أفرّ فرار العبيد)[1]، (فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظّالمين إلّا برمًا)[2].

إنّ هذه الرّوح الثوريّة، والنّفس الأبيّة هي التي فوّتت على الأمويين فرصتهم، وحقّقت للإسلام وجوده وبقاءه واستمراره، فلولا هذا الخطّ الذي انتهجه الحسين عليه السلام في مقاومة الظّالمين، ورفض اتّباعهم؛ لتلاشت مبادئ الإسلام، وانمحت معالمه، وتهدّمت أركانه.

ولكن شاء الله لهذا الدّين البقاء والاستمرار بفضل تلك التّضحيات، والدّماء الزكيّة التي سُفكت في سبيل الإسلام، وفي نصرة الحقّ.

إنّنا وبعد مرور ألف وأربعمائة عام من واقعة كربلاء الأليمة لازلنا نستذكر أهدافها، ونستلهم من روح مبادئها العزيمة، والثبات والإصرار

---

(١) الشيخ المفيد: الإرشاد: ٢/ ٨٩. تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

(٢) ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٨، الطبعة: الأولى، أنوار الهدى، قم - ايران.

علـى التمسك بالإسـلام باعتباره المنهج الإلهيّ القـويم رغم كلّ العوادي والعقبات التي يضعها الأعداء في طريق تقدّم الإسلام، ورغم كلّ الحبائل والمؤامرات التـي يحيكها الأعداء من أجل القضاء علـى القيم الرّوحيّة، والمبادئ الإلهيّة الحقّة، ولكن بفضل الرّوح الحسينيّة الوثّابة والتي نمت، وترسّخت بفعـل إقامة هذه الشعائر الحسينيّـة المتوارثة جيلًا بعد جيل، والتـي علّمتنا الإقدام، وأنارت قلوبنا بالإيمان والثّبات على الحقّ؛ لتجدّد في النفوس قوّة الإسـلام، وتعيد إليها حرارة الإيمـان، وتخلق فيها ومِن بيننـا قـوّة لمواجهة الطغيان، والظلـم، والانحراف، والإنـكار على المنكر اقتداءً بسيرة الحسين عليه السلام، وتأثرًّا بمبادئه، وتعاليمه النيِّرة.

إنّ ثـورة الحسـين عليه السلام قـد جدّدت الإسـلام بعـد أنْ أوشك على الذّوبان بفعل انحرافات بني أميّة وأضاليلهم.

وكذلـك نفس الرّوح الحسينيّة المتوارثة عـبر عشرات القرون هي التـي أشعلتها ثورةً إسلامية شاملة؛ لتـدّك بعروش الطغاة والمستكبرين، ولتعيـد روح الانتصار إلى نفوس المسلمين بعد أنْ سرت إلى نفوسهم روح الهزيمـة، والخنوع، والذلّ بفعـل الضّربات المؤلمة التـي تلقّتها من القوى الاستعماريّة، والصهيونيّة العالمية.

ولكـن تفجـير الطاقـات الإسلاميّـة، وإثـارة الـرّوح الحسينيّـة الرّافضـة هـي التي أعادت للإسـلام قوّته في هذا العصـر بفضل قيادة شبل الحسين عليه السلام الذي أصبح لا يأبه لكلّ تهديدات ووعود القوى الكافرة ولا أذنابها، فهي لا تخيفه ولا تثير الفزع في نفسه، فلا طائرات -السوبر

نتنــادر -، ولا حاملــة الطائــرات - نيوجرسي -، ولا غيرهــا من أسلحة الدّمار بقــادرة على أنْ تثني، أو تلين من قوّة الصمود الإسلاميّة، بل هي تتحطّم علــى صخرة الصمود الإسلاميّة، وتتبــدّد أمام قبضات الملايين المسلمة الرّافضة حتى تحقيق النصر، واندحار الأعداء ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

(١) الشورى: ٢٢٧.

إقامة المآتم على سيِّد الشّهداء عليه السلام

يتمثّل إحياء مناسبة عاشوراء ذكرى مقتل الإمام أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليه السلام لدى الشيعة في كلّ مكان بإقامة المآتم، والمجالس الحسينيّة، وقد دأبوا على ذلك منذ قرونٍ طويلة يستغلون هذه المناسبة؛ لاستعراض سيرة الحسين عليه السلام، وما جرى عليه مع أصحابه، وأهل بيته من صنوف الأذى، والتّقتيل من قبل سلطان الجور، وطاغية الزّمان يزيد بن معاوية، وأعوانه.

وقد كانت هذه المجالس وسيلة ناجحة؛ لترسيخ العقيدة الإسلاميّة الصحيحة في نفوس المسلمين، وكانت المنابر الحسينيّة سلاحًا في وجه الطغاة والمستبدّين يبعث روح الإسلام الحقيقيّ في نفوس المؤمنين، وقد حاولت السلطات الغاشمة في كلّ عصر أنْ تحارب هذه الشعائر، وتقضي على هذه المظاهر محاولةً منها لطمس الحقيقة، والتمويه على الناس، وإخفاء للجريمة الشنيعة التي اقترفها الأمويّون في حقّ الإسلام والمسلمين، وإدراكًا منهم أنّ هذه المآتم صرخة المظلومين في وجه الظالم، وصوت المحرومين في كلّ مكان ضدّ الغاصب.

ولكنّ الشيعة في كلّ مكان، وفي كلّ عصر لم يخضعوا تحت وطأة التّعذيب، والاضطهاد لتلك المضايقات، وأساليب الإرهاب، بل زادتهم إيمانًا وتصميمًا على إحياء هذه المناسبة، وإقامة مجالس العزاء على

الشّهداء من أهل البيت عليهم السلام الذين سقوا بدمائهم الزّكيّة شجرة الإسلام، وضحّوا بأرواحهم فداءً للعقيدة والدّين، فاستحقوا بذلك التّكريم، والتعظيم.

إنّ إحياء هذه المناسبة، والإشادة بذكر الأبطال الأشاوس الذين بذلوا دماءهم في سبيل المبدأ هو تعظيم للإسلام، وتذكير للأمّة بواجبها المقدّس الذي يقع على عاتق أبنائها في الدّفاع عن عقيدتها، ومبادئها، وقيمها السماويّة.

ولقد كانت تلك سنّة الأمم والشّعوب على اختلاف عصورها، وأديانها، وأماكنها في تعظيم رجالها الذين سجّلوا صفحات بيضاء من الجهاد الدينيّ، والوطنيّ، والقوميّ في تاريخها.

ونحن المسلمون لسنا بِدعًا من هؤلاء، فلنا رجالنا الأعاظم، وأبطالنا الضراغم، وأيامنا الخالدات التي كان لها أكبر الأثر في تاريخ أمّتنا الإسلاميّة، ولعلّ ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام من أعظم تلك المناسبات، وأجلّها خَطرًا، وذلك لأمور كثيرة أهمّها:

أنّها ثورة الحقّ في وجه الباطل، وصرخة الإيمان في وجه الكفر والطغيان تستحقّ التخليد والإشادة بها وتبيين أهدافها، ونتائجها وأسبابها، حتى يقف المسلم على الحقيقة الواضحة، ويستفيد منها دروسًا في الجهاد والنّضال في سبيل الحقّ، وحتى لا تأخذه في الله لومة لائم، ويستفيد منها الصبر على المصائب التي تحمّلها أولئك الأبطال،

ويستفيد منها العزم والتصميم وقوّة الإرادة التي تميّز بها أولئك الرّجال الذيـن لم يقبلـوا بالظّلم والاستبـداد، ولم يسكتوا على المنكـر والفساد، بـل كان شعارهم هـو الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكـر، ومقاومة البغي والفساد، وإعادة الحقّ إلى أصحابه.

تطوّر المآتم الحسينيّة

لقـد تطـوّرت المآتم الحسينيّـة عما كانت عليـه سابقًا حيث كانت تقتصر في الزّمن السابق على استعراض السيرة الحسينيّة، ويغلب عليها طابع المأساة والأحزان، وإثـارة المشاعر والعواطف حتى تعيش المصيبة، وتتحسّس الآلام التي عاناها الإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه، وتستنفـر الشعـور ببشاعة الجريمة التي ارتكبت في حـقّ أهل هذا البيت الطاهر عليهم السلام ، وكان ذلك ضروريًّا ومهمًّا، فإنّه تعبير عن الولاء الصادق والمـودّة الواجبة، فإنّ المـوالي لا بدّ وأنْ يشعر بعمـق الارتباط الوثيق لمن يحـبّ، والاتصـال التـامّ بمن يـودّ؛ حتى يحصـل التفاعل التـامّ والتأثّر الحقيقـيّ، وحتى يكون هذا المؤمن صادقًا بحـقٍّ وهو يردّد هذه الكلمات: (يَـا لَيتَنِـي كُنـتُ مَعَهُمْ فَأَفُـوزَ فَوْزًا عَظِيمًـا)[1] بقلوب مؤمنـة، ونفوس مستعـدّة ومستنفرة؛ لكي تسير على الخطّ الذي سار عليه الحسين عليه السلام ، وأصحابه من الثورة على الواقع الفاسد، ومقاومة الانحراف.

ومـع ذلك، فـإنّ المنابر الحسينيّـة لها مهمّة أخـرى لا تقلّ أهمّية عـن استثارة العواطف، وإثارة الأشجان والانفعالات، بل تكون مكمِّلة لها، وهي بثّ روح الوعي الإسلاميّ بين أبناء الأمّة الإسلاميّة، وتبيين المفاهيم الإسلاميّة، وتوضيحها للنّاس؛ حتى يكونوا على علمٍ ودرايةٍ بأمور دينهم، وترسيخ الإيمان بعقيدتهم.

---

(١) النساء: ٧٣.

وكلّمـا ازدادت النّاس وعيًّا بأحكام الإسـلام كلّما ازدادوا إيمانًا، وتمسّـكًا به، واستعـدادًا لبذل الأمـوال، والأرواح في سبيـل الدّفاع عنه، وحمايته من كلّ معتدٍ أثيم.

دور المجالس الحسينيّة

ولهـذه المجالـس الحسينيّـة دورٌ كبـيرٌ في دفع الشبهـات، وتقويم الانحرافات السلوكيّة، والمحافظة على سلامة المجتمع من تسرّب الأفكار الملحـدة، والآراء الهدّامة الوافـدة، وبذلك يتحقّق دور هـذه المؤسّسات، وتؤتـي ثمارهـا، وتكون مصداقًا لقول الإمـام الصّادق عليه السلام: (رحم الله من أحيا أمرنا)[1].

كـذب المـوت فالحسـين مخلـد كـلّمـا أخـلـق الزّمـــان تجـدّد

لماذا نجدّد العزاء على الحسين عليه السلام ؟!

يـا لهول المصيبـة، ولعظيم الفاجعـة مصيبة مـا أعظمها، ورزيّة مـا أجلّها، فجعت قلـوب المسلمين، وأدمت أكبـاد المحبّين، وقرّحت عيون النادبـين، مصيبة من هولها تتفطّر القلـوب والأفئدة، ولجسامتها تنهار القـوى والأعصـاب، ومن شدّة وقعها، وقوّة تأثيرهـا تقشعرّ لها الأبدان، وتتقطّع لفظاعتها القلوب أسًى، وحزنًا.

إنّها مأساة كبيرة حلّت بأهل البيت النّبويّ عليهم السلام، فأهوت بعماده وركنـه، فتزلزلت لعظمها أركان الإسلام، وتهـاوت دعائمه، فالمقتول هو الحسـين عليه السلام ابن بنـت رسول الله نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، فـلا غرابة في أنْ

(١) الطوسي: الأمالي: ١٣٥/ ح: ٣١. تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسّسة البعثة، الطبعة: الأولى، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم.

تؤثّر مصيبته هذا الأثر، وتترك في نفوس المسلمين اللّوعة والحسرة المستمرّة، لا يبرد غليلها، ولا يسكن نشيجها، بل تبقى هذه الحسرة واللّوعة والحزن نارًا متأجّجة في القلوب لا يطفئ لهيبها إلى أنْ يقوم قائم آل محمد (عج)، يعيد الحقّ إلى نصابه ويقيم دولة الحقّ، ويشكّل حكومة العدل الإلهي، ويقتصّ من الظّالمين، ويزيح من هذه الأرض هياكل الطغاة والمستبدّين (فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا)[1].

لقد كانت تلك الجريمة الشنيعة من الفظاعة بمكان حتى أنّها رغم مرور المئات من السنين إلّا أنّ بشاعتها لا زالت ماثلة للعيان، وقسوتها لا زالت مؤثّرة في الوجدان، فالمصيبة الكبرى بسبط النّبيّ صلى الله عليه وآله، وشبل عليّ عليه السلام لا يمكن أنْ تهدأ، أو تتلاشى من النّفوس، فإنّ الأمويين لم يتركوا وسيلة من وسائل الإجرام والخبث والنذالة والخسّة إلّا وارتكبوها في حقّ الحسين عليه السلام، وأصحابه، وأهل بيته، فلم يرعوا حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقرابته، ولم تؤثّر فيهم تلك المواعظ البليغة، والخطب الحافلة بالنّصح والإرشاد التي ألقاها على مسامعهم أبو الشّهداء الحسين بن عليّ عليهما السلام، بل كان جوابهم بالسّهام المتطايرة، والسيوف المشهورة، والرّماح المرفوعة.

وكان ذلك هو جزاء الحسين عليه السلام منهم ذلك الذي ترك موطنه وجاء ملبّيًا لطلبهم، ومجيبًا لندائهم، ولكنّهم خذلوه، وحاربوه، فسجّلوا

---

(١) الطوسي: الغيبة: ٢٤. تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، الطبعة: الأولى، بهمن، الناشر: مؤسّسة المعارف الإسلاميّة - قم المقدّسة.

بذلك صفحة سوداء في تاريخهم يبقى عارها، وشنارها ما بقي الدهر.

ولا ريب أنّ الشيعة بتجديدهم العزاء والنياحة لمصيبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام إنّما يتأسّون في ذلك بأئمّتهم الطاهرين المنتجبين عليهم السلام -الذين أذهب الله عنهم الرّجس، وطهّرهم تطهيرًا-، فهم قد دأبوا على إحياء هذه المصيبة في كلّ عام حرصًا منهم على مشاركة الشيعة جيلاً بعد جيل في هذا المصاب الأليم، والخطب العظيم حيث يبقى في وجدانهم، وفي مشاعرهم حسرة وألمًا مُفجعًا لمقتل السبط الشهيد المظلوم الذي قضى صريعًا في سبيلهم، ومن أجل إنقاذهم من الطغمة المنحرفة، ومن أجل إحياء الدّين الذي اندرست معالمه، ومُحيت آثاره بأيدي أولئك اللئام والمردة الفجّار الذين استوجبوا بفعلهم الشنيع العذاب الأليم، فيا ويلهم من نقمة الله جزاءً على ما اقترفوه من إثمٍ تهتزّ له الكائنات، ومن ذنبٍ تتصدّع من هوله الجبال.

وسيبقى اسم الحسين عليه السلام خالدًا أبدًا تردّده الملايين في كلّ عصر، وتردّد مع اسمه معاني النّضال والجهاد، والعزّة والفداء والتضحية، تلك المعاني السامية التي خلّدها الحسين عليه السلام بمقتله يوم عاشوراء؛ لتبقى خالدة، وباقية إلى الأبد مشعلاً يُضيئ درب السالكين، وطريق الحرية.

وفي مقابل ذلك يبقى اسم يزيد مرادفًا لكلّ طاغيةٍ غاشمٍ وظالمٍ مستبدٍّ لا يخشى الله تعالى، ولا يحفل بالقيم والمبادئ الإنسانيّة، وسيبقى هذا الاسم الخبيث عنوانًا لكلّ حاكم جائر يسير سيرة يزيد، وينهج نهجه، ويقتفي أثره.

وهكذا تخلد ذكرى الحسين عليه السلام في كلّ عام، وتتجدّد مدى الأعوام بما تحمله من لوعةٍ وحرقةٍ وحزنٍ وكآبةٍ لكنّها ضروريّة من أجل إيقاد نار الثورة، ولهب النّضال المتأجّج والمستمر.

مشروعيّة البكاء على الميت

ندب الميت والبكاء عليه والحزن على فقده أمر مشروع -في الجملة- في الشريعة الإسلاميّة، وتختلف أساليب ذلك باختلاف الأمم والبيئات، إلّا أنّ المشروع منها ما لا يتعارض ومبادئ الإسلام -الذي يؤكّد على أنّ حقيقة الموت بأنّها ليست إنهاء للحياة مطلقًا، وإنّما هي نهاية مرحلة وبداية مرحلة أخرى، وأنّ كلّ حيّ مآله إلى الموت، ولا يُستثنى من ذلك أحد - وليس الندب والحزن والبكاء هو اعتراضٌ على هذا الحكم الإلهيّ المقدّر، وإنّما هو نوع من المواساة والوفاء لهذا الشخص الذي كان ماثلًا أمامهم يقوم بدوره في الحياة، وتخليدًا لذكرى هذا الشخص وأمثاله، وإحياء لمبادئه، وفضائله تقوم هذه المظاهر التي تجعل من ذكراه باقية في القلوب، وماثلة للعيان يجدّدها الكبار وفاءً، ويخلّدها الأبناء من بعدهم استمرارًا واستلهامًا لذلك الدور الذي قام به هذا الشخص.

فإذا كان هذا الشخص كالحسين بن عليّ عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيّد شباب أهل الجنّة عليهم السلام، والذي مصابه من أفجع المصائب التي حلّت بواحدٍ من أهل بيت العصمة، وإمامٌ من أئمّة المسلمين بسبب تمسّكه بمبادئه، ودفاعه عن دينه وعقيدته، فكان من الواجب أنْ لا تنسى الأمّة هذا الفضل الذي قدّمه لها، وأنْ تعترف له بهذا الجميل الذي قام به، وأنْ تستمرّ على إحياء ذكراه سنينًا متطاولة، وقرونًا متلاحقة خصوصًا إذا كانت أسباب الانحراف التي واجهها الحسين

عليه السلام لا زالت قائمة، وقوى الطغيان التي صارعها الحسين عليه السلام لا زالت متحكّمة، فلا بدّ من صرخةٍ مدوّيةٍ في وجهها، ولا بدّ من مقاومةٍ لها حتى يستردّ الإسلام كيانه، وتعود إليه روحه وحقيقته، وعند ذلك تكون مبادئ الحسين عليه السلام هي الحاكمة، وأهداف الحسين عليه السلام هي المتحقّقة.

دور المواكب العزائيّة

ومـن هنا يأتي دور المواكب العزائيّـة التي تقام في كلّ عام مظهرًا جماعيًّـا يعبرّ عن ارتباط الأمّة بقائدهـا، وتمسّكها بمبادئها الحسينيّة، واستعدادهـا للسير في ضـوء منهاج الحسين عليه السلام الرّسـاليّ، وأنْ يتربّى على ذلك – الأبناء، والأحفاد –حتى تحقيق النّصر التام للإسلام.

الذكرى الخالدة

تمخّضـت الأيـام العشـرة الأولى من المحـرم بذكـرى استشهاد الحسـين عليه السلام، وإحياء ذكـراه، واستعراض سيرته، ولعـلّ هذا الاهتمام المتزايد بهذه الذكـرى دون سواها من ذكريات المعصومين عليهم السلام يرجع إلى أهميـة الـدور الذي قام به الإمام الحسـين عليه السلام في تدعيم الإسلام، وتقويـة أركانـه، وتثبيـت دعائمـه، فـكان إحيـاء ذكـرى الحسين عليه السلام، والتعرّضـ إلى الدور الكبـير، والمجهود العظيم الذي قام به هو في الوقت نفسه يساهم في توثيق الصلة بين المسلمين ودينهم.

ومـع أنّ قضيـة الحسـين عليه السلام، وذكـرى عاشوراء اتّخـذت طابعًا مذهبيًّـا؛ لأنّ الشيعة هم فقط الذين يحتفلون بهذه الذكرى دون غيرهم مـن فـرق المسلمـين، إلّا أنّ دور الشيعـة السياسيّ المتميِّز طيلـة التاريخ الإسلاميّ حفـظ للأمّة الإسلاميّة بقاءها، وأحيا في نفوس المسلمين روح الحرصـ على الإسلام، والتّمسك به، فقد تعـدّى أثر المناسبة الحسينيّة

النّطاق المذهبيّ إلى الدائرة الإسلاميّة الواسعة، ولا نبالغ في هذا الإدّعاء فالتاريخ المعاصر الذي نعيشه هذه الأيام يثبت ما نقول.

إنّ اختصاص الشيعة بذكرى الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وعدم مشاركة إخوانهم المسلمين لهم في إحياء هذه الشعائر ليس لأنّ غير الشيعة من المسلمين لا يعلمون فضل الحسين عليه السلام ، أو يجهلون قدره، ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ذلك لأنّ كثيرًا من علماء المسلمين ومؤرّخيهم قد كتبوا في الحسين عليه السلام ، وبيان فضله ومقتله مؤلفات عديدة، ولكن إهمالهم لإحياء ذكراه يرجع إلى ارتباط أولئك المسلمين بالسلطات الحاكمة والتي استمرت طول خطّها التاريخيّ على حظر هذه الشعائر ومحاربتها إمعانًا في التنديد بالشيعة، والتنكيل بهم، واضّطهادهم باعتبار أنّ هذه الطائفة بقيت طوال تاريخها الممتد من وفاة الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله تقف في وجه الحكّام ممّن ينحرف عن خطر الرّسالة الإسلاميّة، وتثير في وجوههم المتاعب.

وقد تحوّلت هذه المآتم، وهذه الشعائر التي تُقام لإحياء ذكرى الحسين عليه السلام في عاشوراء من طابعها التقليديّ المتمحِّض في الرّثاء، والندب، والعزاء؛ كي تكون مجالس تبعث في نفوس المستمعين روح الإسلام الحقيقيّ، وتحوّلت المنابر الحسينيّة إلى وسائل إعلام؛ لنشر مبادئ العقيدة الحقّة، وبعد أنْ سدّت في وجوههم وسائل الإعلام الأخرى، وبعد أنْ أصبحوا غرضًا للتشهير، والشتم، والافتراء من قبل أولئك الطغام، وعلماء السوء ممّن تنصبهم السلطات الجائرة، وتغدق

عليهـم الأموال الطائلة، وتسخّرهم؛ لتحقيق أغراضهم الخبيثة، وترويج الدعاية لهم، وتخدير العامّة من الناس عن المطالبة بحقوقهم.

من ذلـك يظهر دور المآتم الحسينيّة، وإحيـاء ذكرى عاشوراء في التاريخ السياسيّ للمسلمين، ولأجل ذلك كان التأكيد من قبل الأئمّة عليهم السلام على ضـرورة عقد مجالس العـزاء والرثاء مـن منطلق المبـادئ والقيم التـي ثار من أجلهـا الإمام الحسـين عليه السلام ، والتي تجسّـدت في شخصيّة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حيث وقف وحيدًا بين تلك الجموع التي تدّعى الانتمـاء إلى الإسـلام وهي تنظر إليـه يطلب العون منهـا؛ كي تقف إلى جانبه لنصـرة الحقّ والدّين، ولكنّهم عموا وصمّـوا، وماتت ضمائرهم، فكانـت وقفة الحسين عليه السلام ، ومصرعه في ذلك اليـوم شاهدًا بارزًا للحقّ المهتضم، وعنوانًا كبيرًا للثبات على المبدأ، وعدم التنازل عنه (لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد)[1].

فمن أجل أنْ تبقى المبادئ التي قام من أجلها الحسين عليه السلام ، وقتل في سبيلهـا، ومن أجـل أنْ يبقى الإسلام ثورة متأجّجـة في نفوس أبنائه، وتعاليمـه باقيـة من غير تحريـف وتزييـف كان لا بدّ مـن الاستمرار في إقامة هذه الشعائـر تخليدًا لشخص الحسين عليه السلام ، وعرفانًا بفضله على الإسـلام والمسلمين، فلم تكن هذه الشّعائـر، وهذه المواكب العزائيّة التي تُقـام في ذكرى عاشوراء من كلّ عام ردّة فعل نفسيّة، وتكفيرًا عن الذنب

(١) الشيخ المفيد: الإرشاد: ٩٨/٢. تحقيق: مؤسّسة آل البيت ٢ لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

كمـا يحاول بعض تلامذة المستشرقـين أنْ يقولوه، ويروّجوه بهدف إطفاء هـذه الجذوة مـن الحماس الدينيّ في نفوس المسلمين، بل هـي شعائر مأمـور بها شرعًا، والمصلحـة منها بيّنة وظاهرة لا تنكـر، على أنّ بعض الممارسـات الخاطئـة التي تتبع عادة في مثل هـذه المناسبات ليست ممّا يغيّر تلك الحقيقة، أو يبرّر الانتقاد والاعتراض على إحياء هذه الذكرى، فإنّ هذه الممارسات يمكـن أنْ تخضع للتوجيه الدينيّ، والإشراف النزيه الذي يضمن لها سلامتها، ويحفظ لها مشروعيّتها.

فتخليـد ذكـرى الحسـين عليه السلام في أيام عاشـوراء أصبـح وبمرور الزّمـن ضرورة لا غنى عنها، لأنّهـا تزوّد المسلمين بطاقة محرّكة، وتقوّي معنويّاتهـم، وتثير في نفوسهم الحماس الإسلاميّ، والشعور الدينيّ الذي ينبغي أنْ يكون دائمًا قويًّا؛ ليضمن بقاء الإسلام قويًّا.

لماذا البكاء على الحسين عليه السلام ؟

مـن الأمور التي ارتبطت بتاريخ الشيعة، وامتازوا بها عن غيرهم، هي بكاؤهم على الحسين عليه السلام ، وغيره من المعصومين عليهم السلام ، واعتقادهم لمشروعيّـة ذلك البـكاء باعتباره نحوًا من استشعار الحـزن، والتأسّي لما أصـاب الحسـين عليه السلام ، وأهل بيته عليهم السلام من المصائـب والتي تقشعّر لها الأبـدان، وتحرّك المشاعر، وتثير الوجدان بالحزن والكآبة، وقد كان هذا الشعـار مثار نقـدٍ، ولمزٍ من بعض المسلمين منكرين أصـل ذلك الشرع، والشيئ الذي ينبغـي أنْ يقال قبل الكلام في شرعيّة البكاء، والأدلّة عليه أنّ البـكاء حالـة نفسيّة تنتاب الإنسـان نتيجة لتصوّرٍ خاصّ يتفاعل في نفسـه، ويمازج مشاعـره وأحاسيسه حزنًا وألمًا وتأسّفًـا، ثمّ يتحوّل ذلك الشعـور الباطنيّ في صورة البـكاء الذي ينفّس فيه الإنسان ما أصابه من هـمٍّ وغمٍّ وحزنٍ وكمدٍ، ومثل هذه الحالة، وبغض النّظر عن مشروعيّتها، فإنّهـا أمرٌ غير إراديّ بالنسبة للإنسـان أيّ إنسان، لذلك لا معنى للقول بأنّ مثل ذلك حرام أو مكروه ما دام الأمر صادر عن غير إرادة، ذلك لأنّ أثـر الصدمة النفسيّة يكون هو الموجب للبكاء والانفعال، وطبيعيّ أنّ دور الدّيـن في هذا المجال هو دور التهذيب، والإرشاد، والتوجيه إلى الطريقة الصحيحـة التي يتمكّن الإنسان عن طريقها تفريغ هذه الشحنة النفسيّة مـن الحزن والجزع دون الكبت والتحريم، لأنّ مضارّ الكبت والحظر عن البـكاء، أو الأسـى يؤدّي إلى نتائج ومضاعفات وخيمـة لها تأثيرٌ كبيرٌ في

سلـوك الفرد، وفي تفكيره نظرًا لما يسبّبه مثل هـذا الكبت من تصرّفات تخرج بالإنسان السويّ عن جادّة الصواب، وقد أدرك علماء النفس ذلك المعنـى، وعرفـوا فائدة البـكاء كأسلوب نافع في علاج كثـير من الأزمات النفسيّة حيث إنّه المنفذ الوحيد الذي يستطيع الإنسان أنْ يخرج بواسطته مـن همومه وأحزانه وشجونه، فيخفّـف عن طريق البكاء آلامه النفسيّة، ويعيـد التوازن إلى حالته الشعوريّـة، ويشعر بعد ذلك بالرّاحة، ويتلاشى عنه ذلك الغمّ والكرب الذي يعيشه.

وقد ضـرب لنا الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله المثَـل، والقدوة الحسنة في هذا الشّأن، فقد رُوي عنه صلى الله عليه وآله حينما دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه وقد دمعت عيناه، فقال له عبد الرحمن بن عوف: (وأنت يا رسول الله، فقـال: يا ابن عوف، إنّها رحمة، ثـمّ أتبعها بأخرى، فقال صلى الله عليـه [وآله] وسلّم: إنّ العين تدمـع، والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يرضي ربّنا)[1].

ومـن ذلك نعلم أنّ البكاء لفراق الحبيـب أمرٌ غريزيّ وطبيعيّ في الإنسـان لا يختلـف فيه نبيّ، أو غـيره إلّا أنّ النّبـيّ صلى الله عليه وآله أوضح أنّ ذلك التعبـير عن الحـزن والأسى ينبغـي أنْ لا يتجاوز حدود المشـروع، وأنْ لا يشتمل على أمرٍ منافٍ لغرض الشارع.

وقـد كان البـكاء مشروعًـا بمقتضـى النصوص الـواردة في هذا الخصوص، وكان النّبـيّ صلى الله عليه وآله ممّـن يشجّـع عليه ويمارسـه، فقد روى

(١) البخاري: صحيح البخاري: ٢/ ٨٥. الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

عنه ﷺ أنّه (لمّا رأى حمزة قتيلًا بكى، فلّما رأى ما مثّل به شهق)[1].

وذكر الطبري في تاريخه أنّه (مرّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بدارٍ من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل، وبنى ظفر، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله صلّى الله عليه[وآله] وسلّم، فبكى، ثمّ قال: لكن حمزة لا بواكي له، فلما رجع سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهم أنْ يتحزّمنَ، ثمّ يذهبنَ فيبكين على عمّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم)[2].

وهناك شواهد أخرى يمكن الإطّلاع عليها من خلال استعراض سيرة النّبيّ ﷺ ومن ذلك ما ذكره في الاستيعاب لابن عبد البر في ترجمة جعفر بن أبي طالب (لمّا جاء نعي جعفر أتى امرأته أسماء بنت عميس، فعزّاها في زوجها، ودخلت فاطمة وهي تبكى وتقول واعمّاه، فقال صلى الله عليه [وآله] وسلّم على مثل جعفر، فلتبكِ البواكي)[3].

ويكفي هذا دلالة على مشروعيّة البكاء.

بقي أنْ ندرك السرّ والفلسفة الخاصّة بالبكاء على الحسين عليه السلام؛ لندرك أنّ البكاء عليه عليه السلام لم يكن لمجرّد الحسرة والشفقة بمقدار ما

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١/ ١٨٤. تحقيق : إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط/حسين الأسد، الطبعة: التاسعة، الناشر: مؤسّسة الرسالة، بيروت – لبنان.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري: ٢/ ٢١٠.تحقيق : مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلّاء، الناشر : مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

(٣) الطبري: ذخائر العقبى: ٢١٨. الناشر: مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي– القاهرة.

كان تعبيرًا عن الحبّ والموالاة للحسين عليه السلام والكراهيّة لأعدائه الذين هم في الوقت نفسه أعداء الدّين؛ ذلك لأنّ تعميق الشعور الإيمانيّ في نفس المسلم لا يتمّ إلّا بطريق الاستشعار والإحساس العميق بأحقيّة أهل البيت عليهم السلام، وعدالة قضيّتهم، وأنّ حركتهم لم تكن لدواعٍ شخصيّة، وإنّما كانت بدافع دينيّ خالص، وأنّ العداء لم يكن نتيجة صراعٍ قَبَليّ بمقدار ما هو صراعٌ عقائديّ، فأولئك الذين وقفوا في وجه الحسين عليه السلام، وحاربوه إنّما حاربوا المبدأ الذي تمسّك به الحسين عليه السلام، والأهداف والقِيم التي سعى الحسين عليه السلام من أجل ترسيخها، وتثبيت دعائمها، فمتى ما أدرك الإنسان المسلم هذا الأمر وتصوّر هذه القضيّة لا بدّ وأنْ يتفاعل معها نفسيًّا، ويتجاوب معها عاطفيًّا، وينفعل بعد ذلك باكيًا تعبيرًا عن أساه وحزنه وأسفه لما حلّ بهذه الأسرة الشريفة والتي قدّمت للبشريّة أعظم نعمة عرفتها الإنسانيّة في تاريخها كلّه وهي الرّسالة السماويّة التي بلّغها جدّهم الرّسول صلى الله عليه وآله، والتي كلّفوهم بحمايتها، وحفظها، والقيام عليها ورغم كلّ ذلك تتمكّن عصابة لم تعرف الإسلام حقيقة، ولم تؤمن بمبادئه واقعًا أنْ تتحكّم في رقاب المسلمين، وأنْ تحوّل حكم الإسلام إلى حكم ملكيّ وراثيّ يتعاقب عليه أفراد لا صلة لهم من قريب أو بعيد بالرّسالة المحمّديّة، وتتحدّى شعور المسلمين جميعًا بإقصاء أهل بيت الرّسالة عليهم السلام عن مكانتهم التي أهّلهم الله تعالى لها، وأعدّهم لتحمّل أعبائها، ثمّ يبلغ التحدّي غايته، ويصل البغض والعداء أقصاه في نفوسهم حينما يحاصرون عميد هذا البيت الطّاهر عليه السلام، وأشرف

مخلوقٍ على وجه الأرض وهو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسبطه، وسيّد شباب أهل الجنّة الحسين بن عليّ عليه السلام، فيقتلونه مع أهل بيته وأصحابه بكلّ حقدٍ ونذالةٍ وخسّة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً.

إنّ كلّ ذلك يحرّك المشاعر، ويذيب الوجدان أسًى وحزنًا عميقًا لا يتمالك المؤمن أنْ يملك نفسه، فينفجر باكيًا لا عن ذلّةٍ وضعفٍ، بل عن محبّةٍ وولاء لأهل البيت عليهم السلام، وعداء وكراهية لأعدائهم الخارجين من حظيرة الإسلام من الأمويّين، وأتباعهم.

لذلك كان تأكيد الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام على الدعوة للبكاء على الحسين عليه السلام، والحثّ عليه باعتباره الوسيلة الفعّالة لإبقاء جذوة الحماس الدينيّ في النفوس، وباعتباره الأثر المحرّك لروح الثورة والتمرّد على كلّ المنحرفين عن الإسلام ممّن كانت سيرتهم كسيرة يزيد وأتباعه، وتكون الدموع المتناثرة الوقود الدائم والمستمر الذي يشعل نار الجهاد والنضال دفاعًا عن الإسلام كما دافع الحسين عليه السلام، وضحّى بدمائه، وأطفاله، وأصحابه في سبيله.

يقول الإمام الصّادق عليه السلام: (وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا)[1].

---

(١) الكليني: الكافي: ٤/ ٥٨٣. تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثالثة لمطبعة : حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية – طهران.

تبكيـك عينـي لا لأجـل مثوبـة لكنمـــا عينـــي لأجلـــك باكيـة
تبتـل منكـم كربـلا بـــدمٍ ولا تبتـل منّـي بالدمـوع الجاريـة[1].

(١) شرف الدين: المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: ١٣٧. وتحقيق: محمود بدري، الأولى، المطبعة: عترت الناشر: مؤسّسة المعارف الإسلاميّة - قم.

ذكرى الأربعين

إنّ لمن الفخـر والاعتزاز أنْ أشارك إخواني في احتفاء شباب هذه الأمّـة بإحياء هذه الذكرى لِما تمثّله من انعطـاف حضاريّ بعيد المدى في تاريخ الأمّة الإسلاميّة، فهذه الجموع من شبابنا بحاجة وهي في طريقها لتشـق سبيلها في هذه الحيـاة المليئة بالمشاق والمتاعـب أنْ تترسّم طريق الإسـلام الـذي أناره لنا قادتنا مـن أئمّة أهل البيـت عليهم السلام؛ كي تكتسب دروسًا في الصبر على المحن، والتضحية، والفداء في سبيل الحقّ، وإعلاء شأنه.

لا بـدّ لشبـاب هذه الأمّة وهو يعيش وسط هـذه الأمواج المتلاطمة من الأفكار والمبادئ الوافدة أنْ يعود إلى إسلامه، وتبقى منه مشعلًا ينير له درب حياته وأسلوب عمله، ففي الإسلام الثروة العظيمة لما يحتاجه في أمور دينه ودنياه.

نحـن بحاجـةٍ أيّها الإخـوة الأعـزّاء، إلى أنْ نبنـي مجتمعنا، وأنْ نرسم هيكل حياتنا وِفَق تعاليم ديننا الحنيف من دون حاجةٍ إلى استيراد الأفكار والمبادئ من خارج الحدود.

إنّ تعاليـم ديننـا كفيلة بحـلّ مشاكلنا الاجتماعيّـة والاقتصاديّة والسياسيّة، وما علينا إلّا أنْ نفتح لهذه التعاليم قلوبنا، وأنْ نصغي آذاننا لها، وأنْ نمثّلها في سلوكنا وعند ذلك تحصل النتائج المطلوبة.

أيّهـا الإخوة، منذ أربعين يومًا مـرّت علينا ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام والذي ضحّـى في سبيل مبدئه وعقيدته بالغالي والنّفيس، وبذل أمواله، وأولاده، وإخوته، ونفسه في سبيل الدّين الحنيف.

وفي ذكـرى الأربعـين لاستشهـاد الإمـام الحسـين عليه السلام نستعيـد هـذه الذكرى لا لنحييها، فهي حيّة وخالـدة، وإنّما لنستلهم منها العِظة، والعـبرة؛ ولنستفيد منها الدرس، والمعرفة ذلك لأنّ ذكرى الحسين عليه السلام قبسٌ يشعّ باستمرار، ونقتبس منها ما ينير لنا الدّرب، ويكشف لنا مهمّات الطريـق، وهي حيّة وخالدة، وهي التي أعطت للإسلام هذه القوّة، وهذه الحيويّة المستمرّة عبر الأجيال.

ونحـن السائرون على خـطّ الحسين عليه السلام ، المستلهمـون من أنوار ثورتـه نساهـم في دعـم مسـيرة الإسلام نحـو تحقيق الأهـداف العليا، والغايـات البعيـدة في إقامـة المجتمـع الإسلامـيّ الرّساليّ الـذي يتبنّى الإسـلام منهجًا وعقيدةً وسلوكًا، لأنّ خـطّ الحسين عليه السلام هو خطّ العودة إلى الإسلام، ومقاومة البدع والضّلالات، ومقارعة الظّلم والطغيان، وهو خطّ نصرة الحقّ، والدفاع عنه، والتضحية في سبيله.

وهكـذا تبرز أهمّية هذه الذّكرى في أنّها وسيلة لربط الأمّة بمنهج الإمـام الحسين عليه السلام الرّساليّ، ودعوتها إلى العودة إلى التّمسك بمبادئ الإسلام، ومثلـه العليا والتي جاهد الحسين عليه السلام في سبيل إعلائها، ومن أجل تثبيتها.

وترتبط مناسبة ذكرى الأربعين بموضوع زيارة الإمام الحسين عليه السلام حيث يصادف في مثل هذه المناسبة وصول أول زائر لقبر الحسين عليه السلام وهو الصحابي الجليل (جابر بن عبد الله الأنصاريّ) حيث اتّفق أثناء زيارته لمرقد سيّد الشهداء مع الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام عند عودته من الشام إلى المدينة مع أهله، فيمّموا شطر كربلاء؛ لزيارة مصارع الشهداء من أهل البيت.

لقد جاء هذا الصحابي الجليل إلى كربلاء بعد مضي أربعين يومًا من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ؛ ليعلن مشاركته للحسين عليه السلام في ثورته، ونهضته ممّا أثار سؤال مَن كان بصحبته: وكيف شاركناهم والقوم قد فُرّق بين رؤوسهم وأجسادهم؟!

فقال له جابر: إنّ الله يشهد بأنّا مع الحسين، وأنصار الحسين وذلك بمحبّتنا لهم، ومَن أحبّ شيئا حُشر معه.

نعم إنّ مقتل الحسين عليه السلام أثار في النّفوس المؤمنة كوامن الثّورة على الظالمين والذين كشفوا بقتلهم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنّهم يسعون للقضاء على الإسلام ولكنّ ذلك الإرهاب والعنف لم يمنع المؤمنين من أمثال (جابر بن عبد الله) من التسلّل لزيارة قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام .

فضل زيارة الحسين عليه السلام

وقد حرص أئمّتنا عليهم السلام في التأكيد على زيارة الحسين عليه السلام، ولعلّ حكمة زيارة الحسين عليه السلام تظهر في أنّها تجعل نفوس المؤمنين منشدّة لذكرى الحسين عليه السلام، ومؤكّدة على التمسك بالأهداف التي ثار من أجلها الإمام الحسين عليه السلام.

كما أنّها فرصة لكلّ مسلم؛ كي يتفرّغ لعبادة الله سبحانه في أيام معدودة من حياته يخلد فيها من أعماله ومتاعبه في الحياة؛ ليلتقي مع إخوانه من المؤمنين في بيوت أذن الله تعالى أنْ يُرفع فيها اسمه.

فعن أبي جعفر عليه السلام: (مُروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإنّ إتيانه مفترضٌ على كلّ مؤمنٍ يقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزّ وجلّ)[1].

وفي حديثٍ لأبي عبد الله الصّادق عليه السلام قال: (يا عليّ ابن ميمون الصايغ): زُر الحسين عليه السلام، ولا تدعه.

قال: قلت: ما لمَن أتاه من الثواب؟

قال: مَن أتاه ماشيًا كتب الله له بكلّ خطوةٍ حسنة، ومحا عنه سيّئة، ورفع له درجة[2].

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج١: ١٤/٤٤٤، أبواب المزار وما يناسبه، ح١.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ج٩٨، ص٢٤، ب٤، ح٢٤، الطبعة: الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان.

وفي حديثٍ عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام (أدنى ما يُثاب به زائر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ الفرات إذا عرف حقّه، وحرمته، وولايته أنْ يغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر) [1].

قال: قلت: جُعلت فداك فما لمن كان في بعد البلاد وأقاصيها، ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم يوم عاشوراء؟

قال الباقر عليه السلام: إذا كان ذلك اليوم برز إلى الصّحراء، أو صعد سطحًا مرتفعًا في داره وأومى إليه بالسّلام، واجتهد بعده ركعتين يفعل ذلك في صدر النّهار قبل الزّوال، ثمّ يندب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر مَن في داره بالبكاء عليه.

تالله إن كانت أميّة قد أتت قتل ابن بنت نبيّها مظلومًا
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدومًا
أسفوا على ألّا يكونوا شايعوا في قتله، فتتبعوه رميمًا.

وفي حديث الإمام العسكريّ عليه السلام: (علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والجهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم، والتّختم في اليمين، وتعفير الجبين) [2].

من كلام جابر:

والذي بعث محمدًا صلى الله عليه وآله بالحقّ نبيًّا لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

---

(١) الوسائل ج١٠ ص٣١٩.

(٢) منتهى المطالب ج٢ ص٨٩٢.

فقال لـه عطية العوفي: كيف ولم نهبط واديًـا، ولم نعل جبلًا، ولم نضـرب بالسيف والقوم قد فرّق بين رؤوسهم وأبدانهم وأؤتمت أولادهم، وأرملت الأزواج.

فقـال لـه: (إنّي سمعت حبيبـي رسول الله صلى الله عليه وآله يقـول: مَن أحبّ قومًـا كان معهـم، ومَن أحـبّ عمل قوم أشـرك في عملهـم، والذي بعث محمـدًا بالحـقّ نبيًّا أنّ نيّتي ونيّة أصحابي علـى ما مضى عليه الحسين، وأصحابه)[1].

من شعر محمد مهدي مطر:

لبيك ضـام حلؤوه عـن الروى ... وبراحتيـه مـن المـكارم أبحـر
هذي دمـوع المخلصين فرو من ... عبراتهـا كبـدًا تـكاد تفطّـر
واعطف على هذى القلوب فإنّها ... ودّت لـو أنّـك في الأضالـع تقـبر
يتزاحمون على استلام مشاعر ... مـن دون روعتهـا الصّفـا والمشعـر
ركبوا لها الأخطار حتى لو غدت ... تـبري الأكـف أو الجماجـم تنـثر
وافوك (يـوم الأربعين) وليتهم ... حضروك يـوم الطـفّ إذ تستنصر
لـدرت أميّـة اذ أتتـك بأنّهـا ... أدنـى بـأنّ تتناش منـك وأقصـر
وجـدوا سبيلكم النجـاة وإنّما ... نصبـوا لهـا جسـر الـولاء ليعبروا
ذخـروا ولاك لساعـة مرهوبة ... أمـا الحميـم بهـا وأمـا الكوثـر
وسيعلم الخصمان أنّ وافوك من ... يـرد المعـين ومن يـذاد فيصـدر[2]

---

(١) لوائح الأحزان ص٢٤١.
(٢) مطر: أدب الطّف: ٢٩٩/١٠.